الجمعية العامة

الدورة الاستثنائية الثامنة والعشرون

المحاضر الرسمية

الجلسة **١**
الاثنين، ٢٤ كانون الثاني/يناير ٢٠٠٥، الساعة ١٠/٠٠
نيويورك

الرئيس: السيد جان بينغ ..... (غابون)

افتتحت الجلسة الساعة ١٠/١٥.

البند ١ من جدول الأعمال المؤقت

افتتاح رئيس وفد جمهورية غابون للدورة

الرئيس المؤقت (تكلم بالفرنسية): أعلن افتتاح الدورة الاستثنائية الثامنة والعشرين للجمعية العامة لإحياء الذكرى الستين لتحرير معسكرات الاعتقال النازية.

البند ٢ من جدول الأعمال المؤقت

دقيقة صمت للصلاة أو التأمل

الرئيس المؤقت (تكلم بالفرنسية): أدعو الممثلين إلى الوقوف والتزام الصمت دقيقة للصلاة أو التأمل.

التزم أعضاء الجمعية العامة دقيقة صمت للصلاة أو التأمل.

جدول الأنصبة المقررة لقسمة نفقات الأمم المتحدة (A/S-28/2)

الرئيس المؤقت (تكلم بالفرنسية): أود، وفقا للممارسة المتبعة، أن أسترعي انتباه الجمعية العامة إلى الوثيقة A/S-28/2، فيما يتعلق بالمادة ١٩ من ميثاق الأمم المتحدة.

هل لي أن أعتبر أن الجمعية العامة تحيط علما على النحو الواجب بالمعلومات الواردة في الوثيقة A/S-28/2؟

تقرر ذلك.

البند ٣ من جدول الأعمال المؤقت

وثائق تفويض الممثلين في الدورة الاستثنائية للجمعية العامة

الرئيس (تكلم بالفرنسية): تبعا للمادة ٢٨ من النظام الداخلي للجمعية العامة، ووفقا للسوابق، يُقتَرح أن تتألف لجنة وثائق التفويض للدورة الاستثنائية الثامنة والعشرين من نفس أعضاء اللجنة في الدورة العادية التاسعة والخمسين.

إذا لم يكن هناك اعتراض، سأعتبر أن لجنة وثائق التفويض تتشكل على ذلك النحو.

تقرر ذلك.

الرئيس المؤقت (تكلم بالفرنسية): أود الآن أن أتناول مسألة وثائق تفويض الممثلين للدورة الاستثنائية الثامنة والعشرين للجمعية العامة.

يتضمن هذا المحضر نص الخطب الملقاة بالعربية والترجمة الشفوية للخطب الملقاة باللغات الأخرى. وينبغي ألا تقدم التصويبات إلا للنص باللغات الأصلية. وينبغي إدخالها على نسخة من المحضر وإرسالها بتوقيع أحد أعضاء الوفد المعني إلى: Chief of the Verbatim Reporting Service, Room C-154A. وستصدر التصويبات بعد انتهاء الدورة في وثيقة تصويب واحدة.

05-21634 (A)
0521634

كما تعلم الجمعية، ربما تختتم هذه الدورة الاستثنائية أعمالها بعد ظهر اليوم. ونظرا لقصر فترتها، وبعد الموافقة على أعضاء لجنة وثائق التفويض، من المستحسن أن تقرر الدورة الاستثنائية، بصورة استثنائية، قبول وثائق التفويض التي تمت الموافقة عليها للدورة التاسعة والخمسين لأغراض هذه الدورة الاستثنائية. وذلك دون مساس بحق الدول الأعضاء في تقديم وثائق تفويض منفصلة ودون أن يشكل سابقة للدورات المقبلة.

إذا لم أسمع اعتراضا، هل لي أن أعتبر أن الجمعية ترغب في قبول وثائق التفويض التي تمت الموافقة عليها للدورة التاسعة والخمسين لأغراض هذه الدورة الاستثنائية بصفة استثنائية ودون تشكيل سابقة؟

تقرر ذلك.

البند ٤ من جدول الأعمال المؤقت

انتخاب الرئيس

الرئيس المؤقت (تكلم بالفرنسية): أقترح أن ينتخب رئيس الدورة التاسعة والخمسين للدورة العادية، معالي السيد جان بينغ ممثل جمهورية الغابون، بالتزكية رئيسا للدورة الاستثنائية الثامنة والعشرين.

هل لي أن أعتبر أن الجمعية ترغب في انتخاب السيد جان بينغ رئيسا للجمعية العامة في دورتها الاستثنائية الثامنة والعشرين بالتزكية؟

تقرر ذلك.

الرئيس المؤقت (تكلم بالفرنسية): أتقدم بخالص تهنئتي لمعالي السيد جان بينغ وأدعوه إلى تولي الرئاسة.

أطلب إلى رئيس المراسم أن يصطحب الرئيس إلى المنصة.

تولى الرئاسة السيد جان بينغ.

بيان السيد جان بينغ، رئيس الجمعية العامة في دورتها الاستثنائية الثامنة والعشرين

الرئيس (تكلم بالفرنسية): قبل ستين عاما، في نهاية الحرب العالمية الثانية المروعة، التي سقط فيها أكثر من ١٠٠ مليون ضحية، اكتشف العالم أهوال معسكرات الاعتقال النازية.

واليوم، نلتقي لإحياء الذكرى السنوية الستين لقيام قوات الحلفاء بتحرير معسكرات الموت البغيضة تلك، التي قُتل فيها بازدراء ملايين البشر – من اليهود وضحايا أبرياء آخرين – وذلك بسبب أصولهم العرقية أو معتقداتهم الدينية أو أفكارهم أو التزاماتهم السياسية.

ولذلك، ترحب جمعيتنا بعقد دورة استثنائية اليوم، في ٢٤ كانون الثاني/يناير ٢٠٠٥، بوصفها دورة استثنائية تاريخية ورمزية معاً. فهي تاريخية لأنها المرة الأولى التي تعقد فيها الجمعية العامة دورة استثنائية لإحياء ذكرى حدث ما. وهي رمزية لأن المجتمع الدولي، من خلال هذه الدورة، يستطيع أخيرا أن يتخلص معا من شبح مأساة المحرقة وأن يعرب بالإضافة إلى ذلك عن عزمه القوي على إدانة الطغيان والوحشية وتجريمهما إلى الأبد، في أي مكان قد يظهران فيه.

وأود أن أشيد بمبادرة الدول الأعضاء التي دعت إلى عقد هذه الدورة الاستثنائية الثامنة والعشرين.

وأتقدم بتحية إجلال مهيبة إلى الناجين من المحرقة، ومن بينهم الحائز على جائزة نوبل للسلام إيلي ويزيل، وكذلك إلى المحاربين القدماء الشجعان من قوات الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، بمن فيهم السيد برايان أوركهارت، الوكيل السابق لأمين عام الأمم المتحدة. وإنه لشرف كبير لنا أن يكونوا حاضرين في دار أمم وشعوب العالم هذه.

إنهم الشهود الأعزاء على تلك الحقبة السوداء من تاريخ الجنس البشري، الحقبة التي لم نستطع للأسف أن نستخلص منها دائما العبر اللازمة. ويكفي أن نتذكر جميع أحداث الإبادة الجماعية، والجرائم ضد الإنسانية، وغيرها من الانتهاكات الجماعية لحقوق الإنسان التي حدثت منذ عام ١٩٤٥ في القارات الخمس. والأهم من كل ذلك، أنهم الرموز الحية للأسس ذاتها التي قامت عليها الأمم المتحدة، التي أنشئت على أنقاض الرعب والطغيان لإنقاذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب. ولذلك يشرفنا وجودهم لأسباب عديدة.

لا يمكن أن يكون هناك وقت أنسب لعقد هذه الدورة، فيما تنخرط منظمتنا في عملية إصلاح مكثفة صيغت لكي نكون أفضل استعدادا للتصدي للتحديات والتهديدات العديدة للأمن الجماعي التي يواجهها عالمنا اليوم. ولذلك، فإنه واجبنا الأخلاقي أن نعمل بلا تحفظ للإبقاء على ما يُسمى ''واجب الذاكرة'' إزاء أبشع الجرائم في تاريخ الإنسانية.

لكن، ورغم أن واجب الذاكرة حصن لا غنى عنه ضد إغراء النسيان، يجب أيضا أن يوجهنا نحو المستقبل. وتتيح لنا هذه الدورة الاستثنائية أيضا الفرصة مرة أخرى لنقول بصوت عال وواضح ''لا تكرار لذلك أبداً!'' ولنؤكد مجددا تكريس أنفسنا لمقاصد ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة.

يجب ألا يتسع عالمنا وضمائرنا أبدا مرة أخرى لإرادة الطغاة التي تقضي بعشوائية على أرواح بريئة لمجرد وجود اختلافات. ولأننا نعيش في عالم أكثر ثراءً بسبب الاختلافات القائمة بيننا، ولأن الحق غير القابل للتصرف في الحياة هو من القيم العالمية التي تقوم عليها إنسانيتنا، لا بد أن يقترن واجب الذاكرة أيضا بواجب التضامن.

ومن ذلك المنطلق أؤيد البيان القوي والبليغ للسيد إيلي ويزيل الذي قال فيه إننا لا نعاني وحدنا، بل نعاني دائما مع الذين يعانون بسبب معاناتنا. فليستمد تفانينا المشروع في الحفاظ على هويتنا السند من إنسانيتنا المشتركة.

أعطي الكلمة لأمين عام الأمم المتحدة، معالي السيد كوفي عنان.

بيان الأمين العام

الأمين العام (تكلم بالانكليزية): لقد أُختير موعد هذه الدورة لإحياء الذكرى السنوية الستين لتحرير اوشفيتز. ولكن، وكما يعلم الأعضاء، كانت هناك معسكرات اعتقال أخرى عديدة، سقط واحدها تلو الآخر في أيدي قوات الحلفاء في شتاء وربيع عام ١٩٤٥.

ولم يكتشف العالم إلا تدريجياً الأبعاد الكاملة للشرور التي كانت تكمن في تلك المعسكرات. وكان ذلك الاكتشاف ماثلاً في أذهان الممثلين في سان فرانسيسكو عندما أنشئت هذه المنظمة. ويجب ألا تنسى الأمم المتحدة مطلقا أنها أُنشئت ردا على شرور النازية، أو أن هول المحرقة قد ساعد على تحديد مهمتها. وإن قدسية ذلك الرد يحفظها ميثاقنا والإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

لم تكن المعسكرات مجرد ''معسكرات اعتقال''. دعونا لا نستخدم التعبير الملطف الذي وضعه بناة تلك المعسكرات. فلم يكن الغرض منها حشد مجموعة من الناس في مكان واحد لمراقبتهم. ولكن الغرض كان إبادة شعب بأكمله.

كان هناك أيضا ضحايا آخرون. فلقد عوملت طائفة الروما، أو الغجر، بنفس الاستخفاف بإنسانيتهم مثل اليهود. وقُتل ما يقرب من ربع طائفة الروما المقيمين في أوروبا وكان عددهم يبلغ المليون. وبالمثل قُتل بدم بارد بولنديون وغيرهم من السلافيين، وأسرى الحرب السوفيات، والمعوقون عقليا وبدنيا. وواجهت فئات متباينة تباين شهود يهوه

ومثليي الجنس، فضلا عن المعارضين السياسيين والعديد من الكتاب والفنانين، مصيرا وحشيا مروعا.

إننا مدينون لهؤلاء جميعا بالاحترام، وهو شعور لا يسعنا أن نعرب عنه إلا ببذل جهود استثنائية لحماية كل المجتمعات المحلية الضعيفة أو المهددة على النحو نفسه، الآن وفي المستقبل.

بيد أن مأساة الشعب اليهودي كانت فريدة من نوعها. فقد كان مصير ثلثي يهود أوروبا، ومن بينهم نصف مليون طفل، القتل. وبذا تكون حضارة برمتها قد اجتُثت من جذورها ودمرت وضاعت، بعد أن ساهمت في التراث الثقافي والفكري لأوروبا والعالم مساهمة فاقت حجمها بكثير.

ستتشرفون بعد قليل بالاستماع إلى أحد الناجين من تلك المحرقة، وهو صديقي العزيز ايلي فيزل. فكما كتب ايلي، ''لم يكن جميع الضحايا يهودا، لكن جميع اليهود كانوا ضحايا''. لذا، من اللائق تماما أن تكون أول دولة تتكلم اليوم هي دولة إسرائيل التي نهضت، شأنها في ذلك شأن الأمم المتحدة نفسها، من رماد المحرقة.

لقد جاءت المحرقة تتويجا خبيثا لتاريخ مشين طويل من الاضطهاد والمذابح المنظمة والتمييز المؤسسي وسوى ذلك من ضروب الامتهان المعادية للسامية. ولم تكن أعمال الكراهية تلك حصرا دائما على المتطرفين المهمشين، بل وقد لا تكون كذلك دائما في المستقبل.

وإن المرء ليتساءل كيف أمكن لظاهرة خبيثة من هذا النوع أن تحدث في أمة مشهود لها بالثقافة والذوق الرفيع، في قلب أوروبا التي أعطى فنانوها ومفكروها العالم الشيء الكثير؟ لقد صدق فعلا من قال: ''إنه يكفي لانتصار الشر أن يتقاعس الخيّرون عن الحركة''.

مع ذلك، كان ثمة رجال ونساء خيّرون بذلوا جهودا مشهودة، منهم ألمان من أمثال غيرترود لوكنر وأوسكار شيندلر، وأجانب من أمثال مايك غايس وتشيوني سغيهارا وصلاح الدين أولكومان وراؤول فالنبرغ. لكن أعدادهم لم تكن كافية، لم تكن كافية البتة.

هذه الظاهرة الخبيثة لا يجوز أن تتكرر البتة بعد الآن. علينا أن نظل متنبهين على الدوام إزاء أي احتمال لعودة مشاعر معاداة السامية، وأن نكون على أهبة الاستعداد للتصدي للأشكال الجديدة التي تكتسيها ظاهرة معاداة السامية اليوم. إن هذا الواجب يفرض علينا التزاما لا إزاء الشعب اليهودي وحده، بل وإزاء جميع الشعوب الأخرى التي تعرضت أو قد تتعرض لخطر مواجهة مصير مماثل. علينا أن نكون يقظين حيال أي عقيدة تقوم على الكراهية والاستبعاد، حيثما وأينما ظهرت تلك العقائد.

في مناسبات كهذه تتفتق قريحة الإنسان عن بلاغة سلسة. ونحن إنما نصدُق إذ نقول: ''لن يتكرر ذلك بعد الآن''. لكن الفعل أصعب من القول. ومن المخزي أن يكون عالمنا قد فشل أكثر من مرة، منذ أيام المحرقة، في منع أعمال الإبادة الجماعية أو وقفها – كما حصل في كمبوديا وفي رواندا وفي يوغوسلافيا السابقة.

وما زلنا حتى يومنا هذا نشهد العديد من الأمثلة المروعة على الأعمال اللاإنسانية التي تُرتكب في مختلف أنحاء العالم. وليس من السهل البت في أي أزمة يجدر إيلاؤها الأولوية أو في أي تحرك محدد من شأنه أن يعود بالفعالية على حماية الضحايا ومنحهم مستقبلا آمنا. فمن السهل القول إنه ''يتعين عمل شيء ما''، لكن من الأصعب الدلالة بالضبط على ماهية هذا العمل وتوقيته وكيفية تنفيذه. لكن ما لا يجوز لنا أن نفعله هو أن ننكر ما يحصل أو أن نقف

مكتوفي الأيدي كما فعل العديدون عندما كانت مصانع الموت النازية تُعمل فظاعاتها.

ثمة أشياء رهيبة تحصل اليوم في دارفور بالسودان. وإني أنتظر غدا استلام تقرير لجنة التحقيق الدولية التي أنشأتُها بناء على طلب مجلس الأمن. إن هذا التقرير سوف يحدد ما إذا كانت أعمال الإبادة الجماعية قد وقعت بالفعل في دارفور. لكنه سيساهم أيضا على نحو لا يقل أهمية في تحديد الانتهاكات الفظة التي لا شك أنها طالت القانون الإنساني وحقوق الإنسان. ولسوف يتعين على مجلس الأمن، حال استلامه ذلك التقرير، أن يبت في التحرك الذي يجب اعتماده بغية كفالة محاسبة مقترفي تلك الأعمال. وإنها لمسؤولية جليلة للغاية.

هذا اليوم مناسبة نجل فيها ذكرى ضحايا المحرقة الذين لن يتسنى تعويضهم أبدا، في عالمنا هذا على الأقل.

إنه يوم نجل فيه ذكرى مؤسسينا من الأمم المتحالفة التي استماتت قواتها من أجل دحر النازية. تلك القوات ممثلة هنا اليوم بمحاربين قدامى ممن حرروا تلك المعسكرات، ومنهم صديقي وزميلي العزيز السير براين اوركهارت.

إنه يوم نجل فيه شجاعة من خاطروا بل وضحوا أحيانا بحياتهم من أجل إنقاذ إخوتهم في الإنسانية. إن مثالهم سيظل فداء لإنسانيتنا، ونبراسا يجدر أن نهتدي به في سلوكنا.

إنه يوم نجل فيه الناجين ممن استبسلوا في سبيل إحباط مخططات مضطهديهم، جالبين للعالم وللشعب اليهودي رسالة أمل. ومع مرور الزمن، تتضاءل أعداد هؤلاء. ويبقى لنا، نحن الأجيال التي تخلفهم، أن نرفع شعلة الذكرى عالية، وأن نستضيء في مسيرتنا بنورها.

إنه، قبل كل شيء، يوم لا نستذكر فيه ضحايا فظائع الماضي الذين تخلى عنهم العالم فحسب، بل وكل من قد يقع ضحية لمثل هذه الأعمال في الحاضر والمستقبل -- إنه يوم يحتم علينا أن ننظر بجرأة إلى هؤلاء لنقول لهم: ''أنتم على الأقل، لن نخذلكم''.

الرئيس (تكلم بالإسبانية): أشكر الأمين العام على بيانه.

البند ٥ من جدول الأعمال المؤقت

تنظيم الدورة

الرئيس (تكلم بالإسبانية): بغية التعجيل بأعمال الدورة الاستثنائية الثامنة والعشرين، ووفقا للممارسات السابقة، أقترح أن يكون نواب رئيس الدورة الاستثنائية الثامنة والعشرين نفس نواب رئيس الدورة العادية التاسعة والخمسين للجمعية العامة.

تقرر ذلك.

الرئيس (تكلم بالإسبانية): وبالمثل، أقترح أن يشغل رؤساء اللجان الرئيسية في الدورة العادية التاسعة والخمسين نفس المناصب في الدورة الاستثنائية الثامنة والعشرين.

تقرر ذلك.

الرئيس (تكلم بالإسبانية): وهكذا يكون قد اكتمل تشكيل مكتب الدورة الاستثنائية الثامنة والعشرين للجمعية العامة.

وأود أن أسترعي انتباه الممثلين إلى مسألة تتعلق بمشاركة الكرسي الرسولي، بصفة دولة مراقبة، وفلسطين بصفة مراقب، في أعمال الجمعية العامة. وسيشترك ممثل الكرسي الرسولي في أعمال الدورة الاستثنائية الثامنة والعشرين عملا بقرار الجمعية العامة ٣١٤/٥٨ المؤرخ ١ تموز/يوليه ٢٠٠٤، دونما حاجة إلى توضيح تمهيدي قبل إدلائه ببيانه.

وسوف يشارك مراقب فلسطين في أعمال الدورة الاستثنائية الثامنة والعشرين وفقا لقرار الجمعية العامة ٣٢٣٧ (د-٢٩) المؤرخ ٢٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٤، والقرار ١٧٧/٤٣ المؤرخ ١٥ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٨، والقرار ٢٥٠/٥٢ المؤرخ ٧ تموز/يوليه ١٩٩٨، بدون أن تكون هناك حاجة إضافية إلى تعليل تمهيدي قبل أن يأخذ الكلمة.

وأود الآن أن أستشير الأعضاء بشأن المسألة المتصلة بمتكلمين إضافيين في الدورة الاستثنائية.

لقد قدم اقتراح بأن تستمع الجمعية العامة قبل المناقشة إلى بيان لأحد الناجين من معسكرات الاعتقال النازية، وإلى بيان لمحارب قديم في قوات الحلفاء التي حررت معسكرات الاعتقال.

حيث لا يوجد اعتراض، هل لي أن أعتبر أن الجمعية العامة ترغب في الاستماع قبل المناقشة إلى بيان الناجي من معسكرات الاعتقال النازية، السيد إيلي وايزيل، وإلى بيان الجندي السابق في قوات الحلفاء، السيد برايان أوركهارت، وهو وكيل سابق للأمين العام؟

تقرر ذلك.

الرئيس (تكلم بالفرنسية) أود الآن أن أطلب تعاون الممثلين فيما يتعلق بطول البيانات. فنظرا لقصر مدة الدورة الاستثنائية، ومن أجل ضمان الاستماع إلى جميع المتكلمين المدرجة أسماؤهم في القائمة، من المجبذ أن يجعل الممثلون بياناتهم مختصرة بقدر المستطاع، ويفضل ألا يتجاوز كل منها ١٠ دقائق.

البند ٦ من جدول الأعمال المؤقت

إقرار جدول الأعمال

الرئيس (تكلم بالفرنسية): جدول الأعمال المؤقت للدورة الاستثنائية الثامنة والعشرين متضمن في الوثيقة A/S-28/1، ومن أجل تعجيل الجمعية في عملها، ترغب أن يُنظر في جدول الأعمال المؤقت مباشرة في جلسة عامة بدون إحالته إلى المكتب.

هل لي أن أعتبر أن الجمعية العامة توافق على هذا الإجراء؟

تقرر ذلك.

الرئيس (تكلم بالفرنسية): هل لي أن أعتبر أن الجمعية العامة ترغب في إقرار جدول الأعمال المؤقت كما هو وارد في الوثيقة A/S-28/1؟

تقرر ذلك.

الرئيس (تكلم بالفرنسية): وفقا لما تقرر سابقا، أعطي الكلمة للسيد إيلي وايزيل، الناجي من المحرقة والحائز جائزة نوبل.

السيد وايزيل (تكلم بالانكليزية): الرجل الذي يقف أمامكم هذا الصباح يشعر بشرف عظيم. فهو معلم وكاتب، يتكلم ويكتب كشاهد على جريمة ارتكبت في قلب المسيحية والحضارة الأوروبية على أيدي نظام وحشي دكتاتوري، وهي جريمة غير مسبوقة في قسوتها، وشاركت فيها جميع فروع الحكومة. إن هذه الدورة استثنائية حقا. وأظن أنكم تعلمون ما كان سيعني ذلك بالنسبة للكثيرين منا في تلك الأعوام لو علمنا أن العالم يستمع. في ذلك الوقت، تعرض الذين كانوا هناك إلى التعذيب والقتل، ليس على أيدي العدو فحسب، بل أيضا عن طريق ما اعتبرناه صمت العالم وعدم مبالاته. والآن، بعد مرور ٦٠ عاما، فإن العالم يحاول على الأقل أن يستمع وأن يتذكر.

وعندما يتكلم الشاهد عن عهد الظلام، فإنه يصطدم بالصعوبات. تتحول كلماته إلى عقبات بدلا من أن تكون أدوات للتعبير. فهو يكتب، ليس بالكلمات، بل ضد

الكلمات، لأنه لا توجد كلمات تعبر عما شعر به الضحايا عندما كان الموت هو القاعدة والحياة كانت معجزة. ومع ذلك، سواء كنتم تعلمون أو لا تعلمون، أيها الأصدقاء، فإن ذاكرته جزء من ذاكرتكم.

إنني أتكلم بصفتي إبنا لشعب عريق، هو الشعب الوحيد من العصور القديمة الذي نجا من الاندثار – الشعب اليهودي – الذي تحمل خلال فترات طويلة من تاريخه النفي والاضطهاد، ولكنه لم يفقد أبدا أمله في الخلاص. ولما كان في سن المراهقة، رأى ما لا ينبغي لإنسان أن يراه، وهو انتصار التعصب السياسي والكراهية الأيديولوجية لمن كانوا أصحاب رأي مخالف. لقد شاهد أعدادا هائلة من البشر وهم يتعرضون للإذلال، والعزل، والتنكيل، والتعذيب، والقتل. كان معظمهم يهودا، وكان هناك آخرون. وأما الذين اقترفوا تلك الجرائم، فلم يكونوا من الرعاع أو قطاع الطرق من العالم السفلي، بل كانوا رجالا في مناصب عالية في الحكومة، والجامعات، والصناعة والطب في ألمانيا. وفي السنوات الأخيرة، لا بد لنا من القول إن تلك الأمة أصبحت ديمقراطية حقيقية. ولكن السؤال ما زال قائما: في تلك الحقبة السوداء، ما هو الحافز لذلك العدد الكبير من الموظفين الرسميين اللامعين والملتزمين لكي يصنعوا مثل تلك الفظائع؟ ومع أن أوشفيتز هي أكثر المآسي توثيقا في التاريخ من حيث نطاقها وحجمها، ومن حيث ضخامة الأعداد التي مثلتها، وما خلفته من آثار العذاب والمعاناة والألم، إلا أنها لا تزال تستعصي على اللغة وعلى الفهم.

واسمحوا لي أن أستذكر ذلك الزمن للحظة واحدة: الأطفال يستخدمون أهدافا للرمي من قبل الحرس النازي؛ والمراهقون حكم عليهم بألا يعرفوا سن الشيخوخة أبدا؛ والآباء والأمهات يشاهدون أطفالهم يلقى بهم في حفر مشتعلة بالنيران؛ والعزلة الهائلة تلف شعبا كاملا؛ ويأس لا نهاية له يلاحق أيامنا وأحلامنا، حتى بعد مرور ٦٠ عاما.

ومتى كانت بداية ما شاهدناه، والمعروف بالاسم الهزيل الهولوكست؟ هل بدأ في عام ١٩٣٨، أثناء ليلة الكريستال؟ أم في عام ١٩٣٩ ربما، عندما اضطرت السفينة الألمانية سانت لويس، التي كان على متنها ١ ٠٠٠ لاجئ من اليهود الألمان، رجالا ونساء وأطفالا، إلى العودة من الشواطئ الأمريكية؟ أم هل كانت البداية عندما أنشئ أول غيتو في وارسو ثم في لودز؟ أم عندما وقعت أول المجازر في الأراضي الروسية المحتلة، أم في بابي يار؟

وما زلنا نسأل: ماذا كانت أوشفيتز؟ هل كانت تمرينا جنونيا له أبعاد العالم وخالقه؟ هل كانت النهاية أم البداية؟ هل كانت نتيجة لرؤيا التعصب والكراهية التي عمرت قرونا؟ أم أنها كانت التشنج الأخير لقوى شيطانية في الطبيعة البشرية؟ أم هل كانت خليقة موازية لله؟ هل كانت عالما بأمم متحدة لها مبادئ نقيضة؟ وبشعوب لها قوميات مختلفة، وتقاليد وثقافات، ومراكز اجتماعية واقتصادية، تتحدث بلغات عديدة، وتتمسك بمختلف العقائد الدينية والذكريات؟ لقد كانوا كبارا أو صغارا، ولكن لم يكن داخل ذلك العالم أي أطفال وأي أجداد. كانوا قد لقوا حتفهم.

وكما سمع الأعضاء صديقي كوفي عنان يقتبس عني، لم يكن جميع الضحايا من اليهود، ولكن كل اليهود كانوا ضحايا. فلأول مرة في التاريخ المدون، أصبحت الكينونة جريمة. أصبح مولدهم حكم الإعدام عليهم. تصويب: كان الأطفال اليهود محكوما عليهم بالموت حتى قبل مولدهم. فما سعى العدو إلى تحقيقه هو وضع حد للتاريخ اليهودي. وما كان يريده هو عالم جديد يخلو من اليهود بشكل حاقد ولا رجعة فيه. وهكذا كانت اوشفيتز وبونار وتريبلينكا وبيلزيتش وشيلمنو وسوبيبور مصانع مظلمة للموت، للموت وحده. فلقد بُنيت تلك المصانع من أجل الموت، وشُيّدت

من أجل الحل النهائي. جاء القتلة إليها من أجل القتل وجاء إليها الضحايا من أجل الموت.

نعم، مليون ونصف طفل. وما فعله العدو بنفسه عندما قتل أولئك الأطفال أمر واضح، فكم منهم كان يمكن أن يفوز بجائزة نوبل في المستقبل؟ كان من الممكن لأحدهم أن يخترع علاجا حقيقيا للسرطان أو لأمراض أخرى. وربما كتب أحدهم قصيدة عظيمة وملهمة، قصيدة قوية ومؤثرة بحيث تدفع أمم العالم نحو التخلي – والتخلي الحقيقي – عن العنف المنظم والحروب.

ماذا كانت اوشفيتز؟ لقد كانت للجلاد النموذج الأمثل لمملكة الشر والأذى التي أُرسل إليها أمراء وشحاذون، فلاسفة وعلماء دين، ساسة وفنانون؛ فكانت مكانا يعني فيه فقدان كسرة خبز فقدان الحياة، وكانت تعني فيه البسمة من صديق يوما واعدا آخر. في الوقت نفسه، حاول الشاهد أن يفهم – وهو مازال لا يفهم – كيف من الممكن أن يكون هناك مثل هذا الشر المتعمد ومثل هذه الوحشية غير المتناهية واللاعقلانية. هل أصاب الخلق مسا من الجنون؟ وهل خبأ الرب وجهه؟ فلا يمكن لرجل متدين أن يتصور أن تكون هناك اوشفتيز في وجود الرب أو غيابه.

ولكن ماذا عن الرجال؟ كيف يمكن لرجال أذكياء ومتعلمين أو مجرد مواطنين منصاعين للقانون، رجال عاديين، أن يطلقوا نيران البنادق الآلية على مئات الأطفال كل يوم، وعلى آبائهم وأجدادهم، ثم ينعمون في المساء بإحدى معزوفات شيلر أو إحدى مقطوعات باخ؟

إنها نقطة تحول أو خط فاصل، تلك الكارثة الهائلة، التي أفزعت التاريخ، وغيرت للأبد مفهوم الرجال عن المسؤولية تجاه الآخرين من البشر. والحقيقة المؤلمة والمفزعة هي أنه لو تدخلت الدول الغربية حينما احتل هتلر تشيكوسلوفاكيا والنمسا؛ ولو استقبلت أمريكا المزيد من اللاجئين من أوروبا؛ ولو سمحت بريطانيا للمزيد من اليهود بدخول فلسطين، التي هي الآن إسرائيل، أرض أجدادهم؛ ولو قصف الحلفاء خطوط السكك الحديد المؤدية إلى بيركيناو حينما كان اليهود الهنغاريون يُقتلون هناك بمعدل ١٠٠ ٠٠٠ شخص يوميا، ربما تم تفادي مأساتنا تلك والحد بلا شك من مداها.

إن عدم الاكتراث المخزي هذا هو ما يجب أن نتذكره، تماما كما يجب أن نتذكر توجيه الشكر إلى الأبطال القليلين، مثل راؤول والنبرغ، وسكان لو شامبول في فرنسا وغيرهم، رغم قلتهم، ممن جازفوا بحياتهم لإنقاذ اليهود. وسنتذكر دائما الجيوش التي حررت أوروبا، والتضحيات التي بذلتها، والجنود الذين حرروا معسكرات الاعتقال – الأمريكيين في بوخنوالد والروس في اوشفتز، والبريطانيين والكنديين في بلسن. ولكنهم، بالنسبة إلى العديد من الضحايا، قد وصلوا متأخرين. ويجب أن نتذكر ذلك أيضا. فعندما حرر الجيش الأمريكي الثالث بوخنوالد، لم تكن هناك سعادة في قلوبنا، بل ألم. لم ننشد الأغاني و لم نحتفل. لم يكن لدينا من القوة ما يكفي لتلاوة الكاديش – أي صلاة الميت.

والآن يا أصدقائي، وبعد ستين عاما، لعلنا نسأل: ”لما كل ذلك التأخير؟“. لكن ومع ذلك، أحث بتواضع واحترام الدبلوماسيين هنا، الذين يمثلون المجتمع الدولي برمته، على سماع كلمات الشهود. وكان بإمكاننا، مثل أرميا وأيوب في الإنجيل، أن نذرف الدموع ونلعن الأيام التي سادها الظلم والعنف؛ وكان بإمكاننا أن نختار الانتقام. لكننا لم نفعل ذلك. كان بإمكاننا أن نختار الكراهية. و لم نفعل ذلك. فالكراهية إفساد والانتقام انحطاط. إنهما علتان. وتاريخهما يسوده الموت. إن الشاهد اليهودي الماثل في شخصي يتكلم عن معاناة شعبي بوصفها تحذيرا. إنه يدق ناقوس الخطر لدرء حدوث هذه المآسي للآخرين. ونعم، إنني مقتنع بأنه لو أصغى العالم إلى من حاولوا منا أن يتكلموا –

ولم يصغ أحد – ربما تجنبنا مآسي دارفور وكمبوديا والبوسنة، وبالطبع رواندا.

إننا نعلم أنه، بالنسبة إلى الموتى، الوقت تأخر كثيرا. فبالنسبة إليهم، وبعد أن تخلى الرب عنهم وخانهم البشر، جاء النصر متأخرا جدا. ولكن الوقت لم يتأخر كثيرا بالنسبة إلى أطفال اليوم – أطفالنا وأطفالكم. ومن أجلهم وحدهم نقدم الشهادة. من أجلهم يدفعنا الواجب إلى استنكار معاداة السامية وأهوالها وقبحها، عنصريتها وحماقتها، والكراهية الدينية أو العرقية وأخطارها. فأولئك الذين يعظون اليوم بممارسة عبادة الموت ويمارسونها؛ أولئك الذين يستخدمون الإرهاب الانتحاري، الذي هو بلاء القرن الجديد، يجب محاكمتهم و إدانتهم على ارتكاب جرائم ضد الإنسانية. إن المعاناة لا تمنح امتيازات. فالمهم هو ما يفعله المرء بالمعاناة. نعم، الماضي حاضر في المستقبل، ولكن مازال المستقبل في أيدينا – مستقبلكم ومستقبلي أيضا.

إن الذين نجوا من اوشفيتز يدعون إلى الأمل، ليس اليأس؛ وإلى سماحة النفس، ليس الحقد أو المرارة، وإلى الامتنان، ليس العنف. لابد أن نشارك. ويجب أن نرفض اللامبالاة خيارا. فاللامبالاة تساعد دائما المعتدي، ولا تساعد ضحاياه أبدا. وما هي الذاكرة إن لم تكن ردا نبيلا وضروريا على اللامبالاة ومناهضة له؟

وهكذا، فالكثيرون منا ممتنون للأمم المتحدة على هذا اليوم، لأننا نراه يوما تاريخيا. إننا ممتنون للممثلين على الاستماع إلينا، وعلى حضورهم وتحركهم. لكنني بصفتي معلما أؤمن دائما بالأسئلة، والسؤال هو: هل سيستخلص العالم العبرة أبدا؟

الرئيس (تكلم بالفرنسية): وفقا للقرار المتخذ سابق، أعطي الكلمة الآن للسيد بريان أوركوهارت، أحد المحاربين القدماء في قوات الحلفاء ووكيل وزارة الخارجية الأسبق.

السيد أوركوهارت (تكلم بالانكليزية): في إحياء ذكرى تحرير أسوأ معسكرات الاعتقال النازية طرا، أوشْوِيتْز، نتذكّر هنا في الأمم المتحدة الجريمة الفائقة للتصور التي ارتكبت في أوروبا خلال فترة امتدت لأكثر من عقد قبل ٦٠ سنة فقط، وهي جريمة لم يستطع تصويرها أحد كما صورها إيلي وايسل.

في نيسان/أبريل ١٩٤٥، كنت واحدا من أوائل جنود الحلفاء الذين وصلوا إلى معسكرات بيرغن – ويسلن. وقد أقيم معسكر بيرغن في وقت متأخر نسبيا في الحرب لاستقبال الناجين – ضمن ضحايا آخرين – من المعسكرات الشرقية، بما فيها أوشويتز الذي قد يجتاحه الجيش السوفياتي.

إنني استخدم عبارة ”فوق التصور“ لأن المنظر الذي رأيناه في بيسلن كان فوق التصور تماما. وكان الكثيرون منا قد أرعبهم العداء النازي للسامية والاضطهاد النازي لليهود. وفي الحقيقة إنني شخصيا كنت منذ عام ١٩٣٣ أعي ذلك جيدا لأن المدرسة التي تديرها والدتي وأخواتها في غرب إنجلترا التحق بها العديد من الفتيات اليهوديات الهاربات من ألمانيا، ولاحقا من النمسا. وبالطبع، أعرف عددا من اللاجئين اليهود عندما أكنت في أكسفورد قبل الحرب.

ولكن حتى رأى المرء الحقيقة المروعة، كان من المستحيل أن يتصور نظام الإبادة العرقية الضخم الذي لم يكن بيسلن إلا جزءا صغيرا منه، وهو نظام للقتل البطيء لملايين البشر الأبرياء، وللانتهاك المتعمد لحرمات ملايين الأنفس البشرية في ظروف مهينة ومقززة عن عمد – وكل ذلك باسم إيديولوجية منحرفة ومعتوهة.

وفي بيسلن كان الموتى والمحتضرون في كل مكان. وكانت أمراض الكوليرا والتيفوس والجدري والحصبة والديسنتاريا متفشية، ناهيك عن المجاعة العامة. وكان حائطان من حيطان ملعب الأطفال – إذا جاز التعبير –

يتكونـان مـن جثـث بشـرية مرصـوفة بعنايـة. وتلـك إحـدى مشـاكل منـع وقـوع الإبـادة الجماعيـة: هـي بالنسـبة للنـاس العاديين لا يمكن تصورها مطلقا حتى تحدث فعلا ويمكـن أن يروها بأعينهم. وبالطبع، يكون حينها قد فات الأوان لمنعها.

وحتى بعد أعمـال الرعـب الـتي كانـت تحـدث يوميـا طـوال سـت سـنوات مـن الحـرب العالميـة، بعثـت معسـكرات الاعتقال النازية صدمة عنيفة في أرجـاء العـالم. وأبلغـت العـالم أن السـلام – الهـدف الـذي طـال انتظـاره – لم يكـن كافيـا. وأبلغـت العـالم أنـه لا يـزال ممكنـا، حـتى في أوروبـا، لحكومـة ما أو لجماعة مستبدة، تحت نوبة التعصب والإيديولوجيـة، أن تقتل ملايين الأشخاص الأبرياء. وأبلغت العـالم أن انفجـارات وحشية الإنسان إزاء أخيه الإنسان تتطلب معيارا عالميـا متفقـا عليه لحقوق الإنسان.

وقد وُضِع ذلك المعيار بصورة مدهشة وسـريعة تحـت قيــادة إليــانور روزفلــت، واعتمــد في عــام ١٩٤٨ هنــا في الجمعية العامة بوصفه الإعلان العالمي لحقوق الإنسـان. ولكـن بعد حوالي ٦٠ سنة، لا يزال يتعذر علينا إيجاد طريقـة موثوقـة لحمايـة تلـك الحقـوق وإعمالهـا في كـل أرجـاء العـالم. وكمـا ذكرنا الأمين العام، قد فشـل العـالم والأمـم المتحـدة في ثـلاث مرات على الأقل منذ عام ١٩٤٨ في منع وقوع إبـادة جماعيـة كـبرى، وحـتى في هـذه اللحظـة ذاتهـا ربمـا تكـون هنـاك إبـادة جماعية جارية في دارفور.

وفي الآونــة الأخــيرة قــدم الأمــين العــام وآخــرون مقترحـات أكثـر تشـديدا لمنـع الانتـهاكات الجسـيمة لحقـوق الإنســان. وإحيــاء ذكــرى تحريــر أوشــويتز يفيــد بتــذكير الحكومات وجميع المعنيين وعددهم كثير بمدى الأهمية الحيويـة الـتي يتسـم بهـا هـذا الهـدف. وإحيـاء هـذه الـذكرى يفيـد في التـذكير بمـا لا يـزال البشـر قـادرين علـى فعلـه بعضـهم ضـد بعـض، بـدافع الكراهيـة أو الخـوف أو بعـض الإيـديولوجيات المنحرفة، خلافا لكل اعتقاد عقلاني.

إن ذكـرى أولئـك الملايـين مـن ضـحايا معسـكرات النازية الأبرياء والكثيرين جدا غيرهـم منـذ ذلـك الحـين دعـوة إلى العمـل – مناشـدة مـن وراء القـبر ”يجـب ألا يحـدث ذلـك مرة أخرى مطلقا“.

البند ٧ من جدول الأعمال

إحياء الذكرى الستين لتحرير معسكرات الاعتقال النازية

الرئيس (تكلم بالفرنسية): أعطي الكلمـة الآن لممثـل إسـرائيل، دولـة السـيد سـيلفان شـالوم، نائـب رئـيس الـوزراء ووزير الخارجية في إسرائيل.

السـيد شـالوم (إسـرائيل) (تكلـم بالانكليزيـة): قبـل ستين سنة، وصلت قوات الحلفاء إلى بوابات معسـكر اعتقـال أوشــويتز. ولم يكــن هنــاك مــا يمكــن أن يهيــأ أفرادهــا لما سيشهدونه هناك وفي المعسكرات الأخـرى الـتي حرروهـا: رائحة الجثث، وأكوام الملابس، والأسنان، وأحذيـة الأطفـال. ولكن في روايات المحررين، كانت وجوه الناجين تحكـي قصـة الرعب، أكثر من الرائحة، بل وأكثر أكوام الجثث.

وروايــة هارولــد هيربســت، محــرر أمريكــي في بوشِنْوالد، نموذج للعديد من الروايات الأخرى:

> ”بينمـا كنـت أسـير خـلال الثكنـات ... سمعت صوتا، والتفتُّ حولي، ورأيـت هيكـلا عظميـا حيـا يـتكلم معـي. ’هيـي! الحمـد لله أنـك جئـت!!‘ وكـان هنـاك شـعور غريـب. هـل تكلمـت أبـدا إلى هيكـل فـتكلم رادا عليـك؟ وذلـك مـا كنـت أفعلـه. وفيمـا بعـد رأيـت أكوامـا مـن هـذه الهياكـل العظميـة الحية التي تركها الألمان وراءهم“.

قبل آلاف السنين شـاهد النـبي إزكائييـل رؤيـا مماثلـة. ففي واحدة مـن أشـهر فقـرات الكتـاب المقـدس، يصـف النـبي كيـف أنـه أتـى إلى واد ملـيء بالعظـام. ويقـول إزكائييـل إن

تلك العظام كانت عظام بيت إسرائيل. وكانت العظام جافة، وضاع أملها. وفي مواجهة هذا المشهد سأل سؤالا: هل ستحيى هذه العظام؟ هل ستحْيى هذه العظام؟ وقد سأل إزكائييل السؤال الذي سأله كل محرر لنفسه: هل يمكن لأي أمل أو إنسانية أن يظهرا من هذا الرعب؟ هل ستحْيى هذه العظام؟

هنا معي اليوم أشخاص منحوا الحياة لعظام جافة، من كل من الباقين على قيد الحياة والمحررين. إنهم رجال أمثال دوف شيلانسكي الذي قاتل في الغيتو ثم أصبح رئيسا لبرلمان اسرائيل، الكنيست؛ ويوسي بليد الذي بعد أن أخلي من مكان إرهاب النازيين أصبح في النهاية لواء في قوات الدفاع لإسرائيل لحماية شعبها من رعب مأساة أخرى؛ وديفيد غرينستين الذي بقي على قيد الحياة بعد مكوثه في معسكرات العمل، وهو يرأس الآن منظمة لتعويض عمال العمل القسري تحت الحكم النازي؛ ونساء مثل غيلا الماغور التي هي اليوم السيدة الأولى للمسرح والشاشة الإسرائيليين، والتي ترجمت تجاربها بصفتها ابنة شخص بقي على قيد الحياة بعد المحرقة إلى فن حرك مشاعر الملايين.

وحينما نرى ما الذي نجح الباقون على قيد الحياة في خلقه وبنائه والإسهام به للبشرية – العائلات والمهن والأدب والموسيقى وحتى البلدان – لا يمكننا إلا أن نعجب بقوتهم وشجاعتهم. وفي نفس الوقت، حينما نرى ما الذي أعطاه الباقون على قيد الحياة للبشرية لا يسعنا إلا أن نبدأ بتقدير ما كان يمكن أن يعطيه للعالم الملايين من الذين لم يبقوا على قيد الحياة. إننا نتفجع على فقدهم حتى هذا اليوم. وكل جزء من شعبنا يشعر بغيابهم. وكل أسرة تعرف الألم، بما في ذلك أسرتي: أجداد زوجتي وحتى أطفالهم الثمانية أخذوا وقتلوا.

إسرائيل والشعب اليهودي مدينان بدين للمحررين من معسكرات الموت، وكذلك يفعل جميع البشر. وفي وجه شر لا يوصف، أظهر هؤلاء المحررون، من أم كثيرة ممثلة هنا اليوم، القدرة البشرية على فعل الخير. وفي وجه اللامبالاة الغامرة بمعاناة الآخرين أظهروا الشفقة؛ وفي وجه الجبن أظهروا الشجاعة والتصميم.

ونقر أيضا بشجاعة وإنسانية ''الصالحين بين الأمم''، الذين رفضوا أن يغضوا الطرف – أناس من قبيل رؤول ووالينبرغ الذي أنقذ آلاف الأرواح اليهودية والذي ابنة أخيه معنا اليوم. هؤلاء الأبطال ساعدوا عظامنا الجافة على الحياة مرة أخرى.

العظام الجافة عادت إلى الحياة: ليس فقط حياة الباقين على قيد الحياة ولكن أيضا حياة كيانين أنشئا على رماد المحرقة: الأمم المتحدة ودولة إسرائيل الحديثة.

كانت مأساة المحرقة محفزا رئيسا على إعادة إنشاء بيت الشعب اليهودي في أرضه القديمة. وكما أعلنت إسرائيل في إعلان استقلالها:

> ''إن ... المحرقة، التي أحاقت بملايين اليهود في أوروبا، أثبتت مجددا إلحاح إعادة إنشاء الدولة اليهودية، التي تحل مشكلة التشرد اليهودي عن طريق فتح الأبواب في وجه كل اليهود ورفع الشعب اليهودي إلى المساواة في أسرة الأمم''.

وحقا، منذ إنشاء إسرائيل، وفرت ملاذا لليهود الذين يواجهون الاضطهاد في أي مكان من العالم. وفي نفس الوقت، بنت مجتمعا يقوم على أساس قيمتي الديمقراطية والحرية لجميع مواطنيها، يمكن فيه للحياة والثقافة والأدب والتعلم والديانة اليهودية – كل هذه الأشياء التي سعى النازيون إلى تدميرها – أن تزدهر وتنمو. وحقيقة أن كثيرين من الباقين على قيد الحياة قدموا وأدوا دورهم في بناء دولة

إسرائيل كانت هي نفسها تحقيقا لافتا للنظر لنبوءة يحزقيل. وكما قال النبي:

”هكذا يقول الرب: انظر، يا شعبي، سآخذكم من القبور. سأودعكم روحي، وستعيشون في أرضكم، في أرض إسرائيل“.

إذا مثلت إسرائيل تجربة بطولية واحدة لإيجاد استجابة إيجابية لفظائع الحرب العالمية الثانية، فإن الأمم المتحدة تمثل محاولة أخرى. إن المواد الأولى من ميثاق الأمم المتحدة تشهد على فهم المؤسسين إن المنظمة الدولية الجديدة يجب أن تكون جواب العالم للشر – إنها تأتي لـ ”أن تنقذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب... وأن تؤكد من جديد إيماننا بالحقوق الإنسانية للإنسان وبكرامة الفرد وقدره...“.

وبتجمعنا هنا اليوم في هذه القاعة – التي ذمت إسرائيل في أحيان كثيرة – في هذه الجلسة الاستثنائية التاريخية فإننا نكرم الضحايا، ونحترم الباقين على قيد الحياة ونشيد بالمحررين. نتجمع هنا اليوم من أجل الذين يتذكرون، من أجل الذين نسوا ومن أجل الذين لا ينسون. ولكننا نتجمع أيضا من أجل أن نتذكر أن ميثاق الأمم المتحدة، مثل إعلان استقلال إسرائيل، مكتوب بدم ضحايا المحرقة. ونحن نتجمع هنا اليوم لإعادة الالتزام بالمبادئ النبيلة التي أنشئت المنظمة على أساسها.

وثمة اليوم حاجة إلى هذا الإقرار أكبر مما كان في أي وقت من الأوقات. لقد شهد العقد الماضي زيادة تبعث على القشعريرة في محاولات إنكار حقيقة المحرقة. ويوجد من يحذف – وذلك يبدو أنه لا يصدق – من التاريخ ستة ملايين حالة قتل متعمد. هل يمكن أن يكون أي شيء أسوأ من التدمير لشعب على نحو منهجي، ومن أخذ المواطنين اليهود الابيين في فيينا وفرانكفورت وفيلنا، وحتى تونس وليبيا، وحرق كتبهم المقدسة، وسرقة كرامتهم وشعرهم وأسنانهم، وتحويلهم إلى مجرد أرقام، إلى صابون، إلى رماد تريبلينكا ودكاو؟

الجواب هو نعم، يوجد شيء ما أسوأ: فعل ذلك كله ثم إنكاره؛ فعل ذلك كله ثم أن تؤخذ من الضحايا – ومن أولادهم وأحفادهم – مشروعية حزنهم. إنكار المحرقة ليس انتهاكا لقدسية الضحايا وإساءة معاملة الباقين على قيد الحياة فقط، ولكنه أيضا حرمان العالم من دروسها – الدروس التي هي حاسمة اليوم كما كانت قبل ستين سنة. وهذه الدروس حاسمة اليوم لثلاثة أسباب ملحة.

السبب الأول هو أن اليوم، مرة أخرى، يرفع بلاء معاداة السامية رأسه. من كان يمكنه أن يتصور أن الشعب اليهودي وإسرائيل، بعد أقل من ستين سنة من حدوث اوشفيتز وبيرغن – بلسين، سيكونان هدفين لهجمات معادية للسامية، حتى في بلدان شهدت الفظائع النازية؟ ومع ذلك هذا على وجه الدقة ما هو حادث. تعلمنا المحرقة أن اليهود قد يكونون أول من يعاني من كراهة معاداة السامية المدمرة ولكنهم نادرا ما يكونون آخر المعانين.

الدروس المستقاة من المحرقة حاسمة اليوم لسبب آخر: ذلك أننا نشهد اليوم مرة أخرى نفس عملية التجريد من المشروعية ومن الإنسانية الموجهة ضد اليهود وأقليات أخرى، مما مهد السبيل إلى الدمار. ينبغي ألا ننسى: أن الإبادة الوحشية لشعب لم تبدأ بمدافع ودبابات ولكن بكلمات، تصور اليهود – الآخرين – على نحو منتظم على أنهم ليسوا شرعيين وليسوا بشرا. وينبغي ألا ننسى هذه الحقيقة حينما نجد صحفا ونصوصا مدرسية في الوقت الحاضر تستعير رسوما كاريكاتورية ومواضيع من الصحيفة النازية ”دير ستورمر“ لوصف اليهود والإسرائيليين.

وأخيرا هذه الدروس حاسمة اليوم لأننا نشهد مرة أخرى هجوما عنيفا على مبدأ حرمة الحياة الإنسانية. لعل

الفكرة الأعظم التي أعطاها الكتاب المقدس للبشرية هي الحقيقة البسيطة أن كل رجل وامرأة وطفل مخلوقون على صورة الاله ولهم قيمة لامتناهية. بالنسبة إلى النازيين قيمة الإنسان متناهية، بل حقيرة. ما هو مقدار العمل الذي يمكنه أن يفعله؟ كم شعرة امتلكت هي؟ كم سنا ذهبية؟

وبالنسبة للنازيين، كان قتل إنسان واحد، أو ١٠٠، أو ١ ٠٠٠، أو ستة ملايين، لا يعني شيئا. فتلك كانت وسيلة لغاية شريرة. واليوم نجد أنفسنا، مرة أخرى، في مواجهة قوى الشر، التي لا قيمة للحياة لديها – سواء كانت الحياة التي تستهدفها حياة المدنيين، أم حياة شبابها الذين تستخدمهم كسلاح، فهي ليست سوى وسيلة للوصول إلى غاية.

وقد علَّمَنا حكماؤنا أن من ”قتل نفسا واحدة يعتبر كمن قتل العالم بأسره“. فلا توجد حياة إنسانية أقل قيمة من العالم. ولا توجد أيديولوجية أو برنامج سياسي يمكنهما أن يقدما تبريرا أو عذرا لقتل نفس بريئة.

وبالنسبة لستة ملايين من اليهود، جاءت إسرائيل بعد فوات الأوان. وبالنسبة لهم ولكثيرين غيرهم جاءت الأمم المتحدة بعد فوات الأوان أيضا. ولكن الوقت ما زال مناسبا لأن نؤكد التزامنا بالمقاصد التي أسست من أجلها. ولم يفت الأوان للعمل من أجل مجتمع دولي يعبِّر عن تلك القيم بصورة كاملة؛ ولا يتسامح في مكافحة التعصب ضد الناس من جميع الأديان والطوائف؛ ويرفض المماثلة الأخلاقية؛ ويسمي الشر باسمه الحقيقي.

ولن نعرف أبدا إذا كانت الأمم المتحدة ستمنع وقوع المحرقة لو أنها كانت موجودة حينذاك. ولكن هذه الدورة الاستثنائية المنعقدة اليوم تؤكد حاجة الأمم المتحدة وكل دولة عضو إلى إعادة تكريس نفسها لضمان عدم تكرارها في المستقبل.

وفي هذا السياق، أود أن أحيي الأمين العام على صوته الأخلاقي وقيادته للجهود التي أثمرت بعقد الدورة، وأحيي كذلك زملائي وزراء الخارجية على حضورهم اليوم. وحيث أن عدد الناجين يتضاءل باستمرار، فقد دنونا من لحظة تحول ذلك الحدث الرهيب من ذاكرة إلى تاريخ. فليقطع جميع الحاضرين هنا اليوم عهدا على نفسهم بأن لا ينسوا الضحايا أبدا، وأن لا يهملوا الناجين أبدا، وأن لا يسمحوا لمثل ذلك الحدث بأن يتكرر – أبدا.

وبصفتي وزير خارجية إسرائيل، الدولة السيادية للشعب اليهودي، أقف أمامكم لأقسم باسم الضحايا والناجين والشعب اليهودي بأسره: لن يحدث مرة أخرى أبدا.

الرئيس (تكلم بالفرنسية): أعطي الكلمة الآن للسيد بورنسلو غيريميك، عضو البرلمان والممثل الخاص لرئيس جمهورية بولندا.

السيد غيريميك (بولندا) (تكلم بالانكليزية): لقد جئت إلى هنا ممثلا لبولندا، البلد الذي كان خلال الاحتلال النازي مسرحا للمحرقة ولأكثر الجرائم بشاعة في التاريخ. إنه لمن الصعب التحدث عن المحرقة، وإيجاد الكلمات الوافية بالتعبير عن أفكارنا ومشاعرنا.

إن موضوع نقاشنا ينطوي بلا ريب على هجوم – فعال ومثير من حيث عوائقه على الأمدين المتوسط والطويل – ضد القواعد الأخلاقية لأي حضارة ديمقراطية، وخصوصا ضد وصية ”لا تقتل“. إن نظام معسكرات الاعتقال النازية، الذي اقترن بمراكز إبادة لمجموعات اجتماعية وطائفية منتقاة، كلف أوروبا ما لا يقل عن ١٠ ملايين إنسان. ومن أجل حماية الإنسانية، يجب ألا ننسى ذلك الدرس الذي علمنا التاريخ إياه.

لقد وجدت معسكرات الاعتقال النازية بشكل أو بآخر في كل أجزاء أوروبا التي احتلها الألمان وحلفاؤهم، وفي ألمانيا نفسها، وفي النمسا التي ضمت إليها. ولكن بصماتها الأشد مأساوية تركتها في البلدان المحتلة، لا سيما في بولندا. وهذا ما يفسر اهتمام بلدنا الخاص بهذه المسألة.

لقد فقدت بولندا جزءا كبيرا من نخبتها الروحية والسياسية في معسكرات الاعتقال إلى جانب ٣ ملايين، أو ٩٠ في المائة من مواطنيها اليهود. وفي بولندا أقامت ألمانيا الهتلرية أوشفتز ، أكبر معسكرات الاعتقال وأكبر مركز لإبادة اليهود وطائفة الروما، ومكانا لقتل ولعذاب الآخرين أيضا. وقد أصبح معسكر أوشفتز رمزا للجرائم النازية.

ومع أن أوشفتز أصبح رمزا للمحرقة والإبادة الجماعية، كانت توجد في بولندا معسكرات أخرى – بما في ذلك بلزيك، وسوبيبور، وتريبلينكا، وميدانك، وشيلمنو. ويجب أن يكون مفهوما أن تلك المعسكرات، لئن كانت قائمة في أراضي بولندا، فإنها، على العكس مما ذهب إليه بعض اللغط التاريخي والإعلامي – لم تكن معسكرات بولندية. فقد أقيمت تلك المعسكرات على أيدي ألمانيا النازية التي كانت تحتل بولندا.

وإذا سمح لي بأن أبدي ملاحظة شخصية، يمثل أوشفتز بالنسبة لي مقبرة لعائلتي؛ فقد قُتل والدي فيه. وبالإضافة إلى ذلك، ليس تعبير ''المعسكرات البولندية'' مضللا فحسب، بل إنه، أكثر من ذلك، يعد مسا مؤلما لمشاعر البولنديين.

لقد اختارت ألمانيا بولندا مكانا لذبح يهود أوروبا لسببين مترابطين. أولا، معظم اليهود الذين قتلوا، من الأطفال حتى الشيوخ، عاشوا في وسط وشرق أوروبا. ثانيا، حاول مرتكبو الجريمة إخفاء جريمتهم عن العالم باقترافها بعيدا عن أوروبا الغربية. وكان المقصود أن تبقى الجريمة من أسرار الدولة.

إن بولندا تعي دورها الخاص، الناشئ عن كونها المشرفة على جميع هذه الأماكن التذكارية ذات الأهمية البالغة للعالم أجمع، والتي تذكّر بأفظع جريمة ارتكبت في الألفية الثانية، وتمثل تذكارا للناس الذين عانوا وماتوا. وهي مسؤولية هائلة وثقيلة، وولاية نؤديها باسم أوروبا بأسرها، وبقية العالم، وهي مهمة نشعر بأنها مهمتنا.

وتفانينا في أداء هذه المهمة الخاصة يتجلى في حقيقة أن الشعائر الرسمية ستقام بمبادرة حكومة بولندا في مكان المعسكر السابق في أوشفتز لإحياء الذكرى الستين لتحرير المعسكر على أيدي الجيش السوفياتي.

ولن تدخر بلادنا جهدا لضمان الحفظ المستدام لآثار المعسكرات ومراكز الإبادة التي أقامها المحتل الألماني في بولندا، ولتحويلها إلى أماكن مفتوحة أمام العالم، يجري فيها التأمل في التاريخ وتعلمه بروح من الديمقراطية والتسامح.

إنه من واجبنا أن نحافظ على ذكرى ما حدث فحسب، بل أن نزيد أيضا الوعي لدى الأجيال الشابة بروح التسامح واحترام حقوق الإنسان وترسيخ الإحساس بنبذ كل مظاهر التمييز. ويمكن تنفيذ ذلك الهدف عن طريق البرامج التعليمية، مثل تلك المتوخاة في مركز التثقيف بشأن معسكر اعتقال أوشويتز والمحرقة، والبرامج المخطط لها بشأن أوغفيتشيم، وعن طريق معهد السلام والمصالحة، الذي سيدرس أعمال الإبادة الجماعية المعاصرة.

ووضعت بولندا برامج ناجحة للتبادل الثقافي بين الشباب، وهي أفضل شكل للحوار الفعال. وتتم مكافحة الصور النمطية التي يعتنقها الجيل الحالي بمواجهتها بالتجارب الشخصية ومن خلال الاتصالات المباشرة بين الشعوب. وكمثال على ذلك ''مسيرة الأحياء'' السنوية المؤثرة والمثيرة التي يشترك فيها الشباب اليهودي والبولندي والتي ينظمها متحف أوشويتز – بيركيناو.

في الختام، أود أن أكرر اسم مايدانيك. ففي مايدانيك، تم تجميع رماد ضحايا النازية داخل جرَّة كبيرة من الأسمنت، وهي بمثابة نصب تذكاري لذكرى أولئك الضحايا. وقد نُقشت عليها كلمات لا يمكن أن تُخطئها أعين الزوار، تقول: ”ينبغي أن يكون مصيرنا تحذيرا لكم جميعا“.

ذلك ما ينبغي أن نتكلم عنه هنا اليوم. إن أولئك الذين قُتلوا، سواء في غرف الغاز أو عن طريق التجويع أو العمل اللاإنساني، في أوشويتز وفي غيره من معسكرات الاعتقال النازية، لا يمكن نسيانهم بأي حال من الأحوال. ويجب أن يكون مصيرهم تحذيرا لنا عندما نشاهد اليوم الكراهية والبؤس وإبادة الضحايا في مختلف أنحاء العالم.

الرئيس (تكلم بالفرنسية): أعطي الكلمة الآن للسيد فلاديمير لوكين، مفوض حقوق الإنسان في الاتحاد الروسي.

السيد لوكين (الاتحاد الروسي) (تكلم بالروسية): إن هذا الحدث الذي نكرّس له جلسة اليوم للجمعية العامة يكتسي حقا أهمية تاريخية فريدة من نوعها. فمنذ ستين عاما، وأثناء المرحلة النهائية من هزيمة النازية الهتلرية خلال الحرب العالمية الثانية، حررت القوات السوفياتية المهاجمة أحد أكثر معسكرات الموت بشاعة، وهو معسكر أوشويتز – بيركيناو. ومن بين الذين عُذّبوا في هذا المعسكر اليهود والغجر – وهم من مواطني ١٧ بلدا في العالم. ومنذ ذلك الحين، وإلى الأبد، ستظل أسماء معسكرات أوشويتز – بيركيناو وتريبلينكا وبوشينفالد وداخاو وموتهوزن محفورة في ذاكرة البشرية بوصفها أكبر الرموز الشريرة التي تمثل الإبادة الكاملة للملايين من البشر الأبرياء في أبشع صورها. فلنتذكرهم جميعا إلى الأبد، وليكونوا تحذيرا أبديا لنا يذكرنا بما حدث من أهوال. إننا نحني رؤوسنا احتراما وإجلالا لضحايا عمليات الإبادة الوحشية التي وقعت في معسكرات الموت، ونتذكر بامتنان أولئك الذين ضحوا بحياتهم في محاربة النازية والقهر والتمييز والعدوان.

ولأن ما حدث لم يسبق له مثيل في مداه وفي الخسائر التي سببها، فقد دفعت الحرب العالمية الثانية كل الإنسانية المتحضرة إلى توحيد الصفوف، متجاوزة جميع أوجه الخلاف والمعارضة لمكافحة الخطر المميت للعبودية النازية. وكان النصر الذي حققناه في الحرب نصرا لنا جميعا – هذا النصر الذي وفّر لنا زخما قويا لتضامن المجتمع الدولي، وكان من نتائجه إنشاء الأمم المتحدة في نهاية المطاف.

وبعد كل التضحيات الجسيمة والمعاناة ومشاهدة موت الملايين من البشر، أدركت شعوب العالم أنه لا يوجد بديل عن نظام الأمن الجماعي، الذي تم تكريسه في ميثاق الأمم المتحدة. واليوم، يجب علينا ألا ننسى أن محاولات انتهاك الحقوق الديمقراطية للمواطنين، التي نادى بها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، تؤدي مباشرة إلى ممارسة الإرادة المستبدة تماما. وهي بذلك لا تفصلها عن الجرائم التي تثير فينا الشعور بالرعب والاشمئزاز إلا مجرد خطوة واحدة فقط. وإن بلدي، انطلاقا من تجربته المأساوية إزاء ما ساد من استبداد وفوضى إبان عهد الدكتاتورية الشيوعية، لن ينسى ذلك أبدا.

إنه لمن الجنون أن نسمح لأنفسنا بأن ننسى ما حدث وأن تذهب إلى طي النسيان تلك العبر الرهيبة لعدوان النازية ووحشيتها. إن من واجبنا أن نخلّد ذكرى جميع الذين أبيدوا في تلك الحرب، وأن نمنع مجرد احتمال وقوع حرب عالمية جديدة، وأن نوحّد جهود المجتمع الدولي مرة أخرى لمواجهة التحديات والتهديدات الجديدة، وذلك من خلال إدراك الدور المحوري للأمم المتحدة في ذلك الصدد، والتسليم به واحترامه.

وإننا إذ نتذكّر السنوات المروعة للحرب فإن تلك الذكريات يجب أن تذكّرنا إلى الأبد بضرورة التصميم على مكافحة الجهود الرامية إلى إعادة كتابة التاريخ والتحول عن المعايير الأخلاقية والتاريخية الجلية القائمة لتقييم الفاشية، ولا سيما ما يبذل من محاولات لإضفاء الطابع البطولي على النازيين ومن على شاكلتهم، الذين هم جميعا أعداء للديمقراطية وللأسس القانونية في المجتمع.

وحديثا عُقدت، في عدد من الدول الأوروبية التي عانت بوحشية من الجرائم التي ارتكبتها النازية، تجمّعات لتأييد الذين قاتلوا أثناء الحرب العالمية الثانية في صفوف ألمانيا الهتلرية من خلال اشتراكهم في الوحدات الخاصة للجيش الألماني. وإن القصد من تلك التجمّعات التي تعترف علانية بأنصار الفاشية السابقين يرقى في الواقع إلى مستوى التحريض على مراجعة القرارات الصادرة عن محكمة نورمبرغ، التي صنّفت جميع المشاركين في تلك الوحدات النازية الخاصة بوصفهم مجرمي حرب. وعلى ذلك فإن أي تصنيف آخر للأعمال التي ارتكبوها خلال الحرب العالمية الثانية سيكون إهانة لذكرى الملايين من ضحايا النازية.

وبلا شك هناك ضرورة لتوحيد جهود المجتمع الدولي لمقاومة المحاولات التي تبذل لرد اعتبار النازية والأشكال الأخرى للتعصب العنصري والدكتاتورية وتمجيدها. وتحقيقا لهذه الغاية فإننا نهيب مرة أخرى بجميع البلدان أن تنفذ الاتفاقات الدولية ذات الصلة، ولا سيما القرار الذي اتخذته لجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان في ١٦ نيسان/أبريل ٢٠٠٤ بشأن عدم قبول بعض الممارسات التي تساهم في تعزيز الأشكال المعاصرة للعنصرية والتمييز العنصري وكراهية الأجانب وأشكال التعصب الأخرى ذات الصلة.

ما زالت مسألة حماية كنوز التاريخ الثقافي للعالم والرموز التاريخية من محاولة تدميرها من قبل المتطرفين تشكّل أحد الأهداف البالغة الأهمية. إن العجز عن القيام بذلك أو إظهار عدم المبالاة إزاء تدمير رموز أبطال وضحايا الحرب العالمية الثانية إنما يشجّع الذين يروجون للأيديولوجيات القومية المتطرفة. ومما يؤسف له أن نرى اليوم أن ظواهر من قبيل معاداة السامية والعنصرية وكراهية الأجانب لم تختف بالفعل من حياتنا. ويشغلنا بشكل خاص الطابع الواسع الانتشار لهذه الظاهرة بين صفوف الأجيال الشابة في عدد من البلدان. ولا يخفى على أحد أن الكثير من تلك الأفعال المعادية للسامية، بما في ذلك تدنيس المدافن والمعابد اليهودية، تقوم بها فصائل من الشباب المتطرف، بمن فيهم جماعة النازيين الجدد ذوي الرؤوس المحلوقة.

وفي بلدي أصدرت المحاكم، نتيجة لضغط الرأي العام والمدافعين عن حقوق الإنسان، عددا من الأحكام الشديدة على الأفراد المدانين بارتكاب هذه الأعمال. ونعتقد أن مكافحة التطرف ومعاداة السامية وأيديولوجية التفوق العرقي لن تتحقق إلا من خلال الجهود المشتركة للمجتمع الدولي برمته.

وتمثل هذه الدورة الخاصة واحدة من أهم الحلقات في سلسلة الأحداث الرسمية المكرسة للذكرى السنوية الستين للانتصار العظيم على الفاشية. وكما هو معروف جيدا قدم بلدي مساهمة حاسمة في إلحاق تلك الهزيمة العسكرية بالفاشية. وفي ٢٢ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٤، وبمبادرة من روسيا ومجموعة من بلدان رابطة الدول المستقلة حظيت بتأييد بلدان أخرى، اعتمدت الجمعية العامة بتوافق الآراء قرارا أعلنت به يومي ٨ و ٩ أيار/مايو للذكرى والتأمل. وسوف يجري إحياء هذين اليومين سنويا منذ هذا التاريخ فصاعدا تكريما لجميع ضحايا الحرب العظمى.

إن الأهمية التاريخية للانتصار في الحرب العالمية الثانية لا يمكن فصلها عن الرسالة التي لا بديل لها، وهي التي حملتها

الأمم المتحدة ستة عقود حتى الآن. إن تأسيس هذه المنظمة العالمية بحد ذاته كان قبل كل شيء ثمرة جهود الحلفاء ضد هتلر، وما كان هذا الإنجاز ليتحقق لولا انتصارهم على الفاشية.

إن تهديدات اليوم وتحدياته، وكذلك التجربة التاريخية السابقة، تظهر بوضوح أن لا بديل للدعم العالمي لحفظ السلام ولتعزيز قدرة الأمم المتحدة الكامنة ضد الإرهاب، ولزيادة فعالية أنشطتها كآلية التنسيق المركزية للعلاقات بين الدول، وكأساس لتشكيل نظام عالمي جديد أكثر أمنا وعدلا، يسود فيه القانون الدولي على أساس مبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. إن روسيا تتمسك بهذه الأهداف، وهي مستعدة للتعاون البناء في هذا الصدد مع جميع الدول المعنية.

في الختام، أود أن أؤكد مرة أخرى أن اليوم التاريخي الذي كرست من أجله هذه الدورة الاستثنائية ينظر إليه في روسيا على أنه إحياء لذكرى الملايين من ضحايا الكابوس النازي. وأن معسكر أوشفتز الذي حُرر ودُمر قبل ستين عاما، يجب ألا يتكرر أبدا في أي ركن من الكوكب الأرضي.

الرئيس (تكلم الفرنسية): أعطي الكلمة الآن لممثل الولايات المتحدة الأمريكية، السيد بول ولفوفيتز، نائب وزير الدفاع.

السيد ولفوفيتز (الولايات المتحدة الأمريكية) (تكلم بالانكليزية): أود أن أشكركم، السيد الرئيس، على عقد هذه الدورة الاستثنائية الثامنة والعشرين، وأود أيضا أن أشكر الدول التي أيدت الطلب بإحياء الذكرى الستين لتحرير معسكرات الموت النازية.

وأود أن أشكر الأمين العام على البيان البليغ الذي أدلى به اليوم، وعلى تشجيعه لهذه المبادرة. كما أود أن أشكر السير براين أركهارت على خدمته في الحرب وعلى حضوره كشاهد هنا اليوم. وأود أن أخص بالشكر السيد إيلي فايزل، لا على عباراته الملهمة هنا اليوم فحسب، بل أيضا على كل ما علَّمنا إياه بحياته. لقد علمنا إيلي فايزل أنه عندما تكون الحياة والكرامة الإنسانية على المحك، فإن الحياد خطيئة. فالحياد كما يقول، عون للقتلة لا للضحايا.

وعلَّمنا إيلي فايزل أننا يجب أن نتكلم عن الأفعال الدنيئة لكي لا تنسى أو تتكرر. وفوق كل شيء، يقدم لنا شهادة شخصية مؤداها أنه حتى في مواجهة أفظع أنواع القمع، هناك دائما الأمل بأن الخير في الروح الإنسانية سوف ينتصر في النهاية.

هذا هو المعنى الأعم لسبب اجتماعنا هنا اليوم. إننا هنا لنتأمل، في ظل ضخامة المناسبة، كيف أزهق الشر الاستبدادي ملايين الأرواح العزيزة. ولكن، على نفس المستوى من الأهمية، أن الأمم الأعضاء المشاركة في هذه الدورة تؤكد، بحضورها، رفضها لمثل هذا الشر، وتوجه رسالة أمل في مستقبل أكثر تحضرا، وهو الأمل في أن ''لن يتكرر أبدا'' ولن يتجاهل العالم أبدا مثل هذا الشر.

فإذا كان العالم قد تعلم شيئا، فهو أن الأمم المسالمة لا تستطيع أن تغض الطرف أو تقف مكتوفة الأيدي إزاء الإبادة الجماعية. وقد تطلب الأمر خوض الحرب، أفظع حرب في التاريخ، من أجل وضع حد للفظائع التي نتذكرها اليوم. وكانت تلك الحرب التي دعاها ونستن تشرشل ''الحرب الضرورية''، لأنه آمن بأن أمم العالمة المسالمة لو كانت انتهجت سياسة أكثر صلابة واتساقا، لكانت أوقفت هتلر عند حده في وقت مبكر. ولكن الحرب أصبحت ضرورية لإنقاذ العالم مما دعاه بحق ''حضيض عصر مظلم جديد، أضحى أكثر شؤما ... بفعل أضواء عِلم منحرف''.

ثمة حقيقة أخرى ندركها جيدا هي أن الحرب، حتى عندما تكون عادلة وشريفة، هي حرب رهيبة لكل من تمسهم. إن الحرب ليست شيئا يسعى الأمريكيون إليه ولا هي شيء قد نعتاد على محبته تدريجيا. وخلال تاريخنا خضنا الحروب مترددين، ولكننا خضناها عندما كانت ضرورية كما لو كنا نؤدي واجبا.

إن حربنا الأهلية كانت دموية أكثر من أي حرب سبقتها. وهي أيضا شنت لإنهاء شر فظيع. وبينما كانت تلك الحرب تدنو من نهايتها الدامية، خاطب الرئيس أبراهام لنكولن الأمة آملا أن تنتهي الحرب قريبا، ولكنه قال إنها سوف تستمر إذا كان ذلك ضروريا، واستطرد قائلا ''إن كل قطرة دم تسيل بالسوط سيكون ثمنها قطرة دم تسيل بالسيف''.

وبعد مرور شهرين على معركة أنتيتام، التي فاق عدد القتلى الأمريكيين فيها أربعة أضعاف الذين قتلوا على شواطئ نورمندي، خاطب الرئيس لنكولن أعضاء الكونغرس الأمريكي قائلا إن الذين يملكون القوة ويتحملون المسؤولية لا يمكنهم التهرب من عبء التاريخ. وأضاف قائلا ''سوف ننقذ بشرف، أو نفقد بخسة، آخر أفضل أمل في الأرض''.

وقد حارب الأمريكيون في أغلب الأحيان لتحرير الآخرين من العبودية والطغيان من أجل أن نحمي حريتنا. وتشهد على هذه الحقيقة المقابر الممتدة من فرنسا إلى شمال أفريقيا وعليها صفوف من الصلبان المسيحية ونجوم داوود.

وقد آمن الأمريكيون، كلما حملوا السلاح، بأن ذلك لم يكن في النهاية من أجلنا وحدنا، مدركين بأن حريتنا صقلت من معدن المسؤولية، وأن العالم أجمع يستفيد عندما يكون الناس أحرارا في تحقيق أحلامهم وتنمية مواهبهم.

واليوم نتذكر الضحايا الذين سقطوا للطغيان بسبب آرائهم السياسية، أو تراثهم العرقي، أو ديانتهم، في أماكن كان فيها ذبح بني البشر صناعة للدولة تم إتقانها بكفاءة ومنهجية. ولا يمكننا إلا أن نتخيل كم ستكون حياتنا مختلفة لو أعطي الملايين من الضحايا الفرصة لكي يعيشوا أحلامهم.

واليوم نحيي أيضا جميع الجنود من الأمم المتحالفة العديدة الذين شاركوا في تحرير معسكرات الموت النازية على شجاعتهم وتضحياتهم وعلى العناية التي قدموها للناجين.

وإننا نعتز بالدور الذي أداه جنودنا الأمريكيون، الذين أطلق عليهم لقب ''المسنين الشباب'' وأعمارهم ١٩ و ٢٠ عاما، والذين حاربوا وسط الأهوال التي شهدوها في أنزيو، ونورمندي، وباستون، وقد اعتقدوا أن عالما شريرا كذاك لا يمكن أن يخبئ لهم مزيدا من المفاجآت، ولكنهم ذهلوا حتى النخاع عندما شاهدوا حجم الدمار الإنساني للطغيان النازي في ربيع عام ١٩٤٥.

وقبل أسبوع واحد فقط من نهاية الحرب في أوروبا، وصل الجيش السابع الأمريكي إلى دخاو. ووصف العقيد وولتر فيلتز ما رآه عندما اقتربت فرقة المشاة الثانية والأربعون من البوابة الرئيسية لمعسكر الاعتقال، فقال، كان هناك ''هتاف جماعي، وأنصاف المجانين من الرجال والنساء والأطفال ... لقد وصل محرروهم! وكان الضجيج أقوى من القدرة على الإدراك''، وأضاف ''لقد بكت قلوبنا ونحن نرى دموع الفرح تسيل على خدودهم''.

والجنرال دوايت ايزنهاور، القائد الأعلى، إذ كان يشعر بقرب ساعة النصر، لم يكن ، مستعدا لما رآه عندما وصل إلى المعسكر في أوردروف. فعندما مشى قرب آلاف الجثث في قبور سطحية وشاهد أدوات التعذيب التي استخدمها الحراس النازيون استشاط غضبا وهب إلى العمل.

فقد أبرق إلى رئيس أركان الجيش، الفريق أول جورج مارشال، كلمات منحوتة الآن في مدخل المتحف الأمريكي للمحرقة في واشنطن. كتب ايزنهاور في برقيته ''الأشياء التي شاهدتها تجل عن الوصف ... الأدلة المنظورة والشهادات الكلامية عن التجويع والقسوة والوحشية تفوق كل احتمال''. وأصر ايزنهاور على تفحص غرفة معينة احتوت على أكوام من الهياكل البشرية لرجال عراة، قُتلوا جوعا. وقال ''لقد قمت بتلك الزيارة عن عمد''، واستطرد قائلا ''لكي أستطيع تقديم أدلة دامغة على حدث من هذه الأشياء إذا ما طلب مني ذلك في المستقبل، فهناك ميل نحو تحويل تلك الادعاءات إلى ''دعاية''.

وقد أراد أيزنهاور بذلك أن يرى الآخرون هذه الجريمة المرتكبة ضد الإنسانية. ولذلك حث أيزنهاور أعضاء الكونغرس الأمريكي والصحفيين على زيارة تلك المعسكرات، وأوصى بتصوير فيلم يسجل تلك المآسي وعرضه على نطاق واسع على المواطنين الألمان. وأمر أن يشاهد أكبر عدد ممكن من الجنود الأمريكيين تلك المعسكرات. وبذلك أصبح الجنود الأمريكيون، كما وصفهم أحد الكُتاب ''علماء آثار رغما عنهم حيث وجدوا أنفسهم أمام أسوأ ما امتلك الإنسان من قدرات فتاكة لا إنسانية ''.

ووجد جاك هاليت، وهو أحد الجنود الذين حرروا داخاو، أنه كان من الصعب التمييز بين الموتى والأحياء. وبينما كان ينظر عن قرب إلى كومة من الجثث لاحظ أنه يوجد في عمق تلك الكومة مجموعة من العيون ما زالت تطرف.

وأشار دان إيفرز، الذي كان عضوا في كتيبة المهندسين الميدانية ٢٨٦ في داخاو، إلى أن ''باب غرفة الغاز كان مغلقا'' وقال ''لكن الأفران كانت لا تزال مشتعلة. وكانت توجد لافتة معلقة باللغة الألمانية تقول 'اغسل يديك بعد الانتهاء من العمل'''.

وكتب جندي آخر إلى والديه يرجوهما أن يحتفظا برسالته لأنها ''مذكرتي الشخصية لشيء أريد شخصيا أن أتذكّره، ولكنني أود أن أنساه''.

ومن إبنسي، كتب النقيب تيموثي برينان، من الكتيبة الثالثة بسلاح الفرسان، لزوجته وطفله قائلا: ''لا يمكنكما أن تتخيلا أن مثل هذه الأشياء تحدث في العالم المتحضر''.

ومن موهوزن في النمسا، كتب الرقيب فريد فريندلي لأمه قائلا ''أريدك ألا تنسي أبدا، أو أن ينسى أصدقاؤنا المتشككون، أن ابنك نفسه بلحمه ودمه هو الذي شاهد تلك الأمور. لقد شاهد ابنك ذلك بعينيه وكبر بعد ذلك ١٠ سنوات''.

وفيما وراء الصدمة والرعب كان الجنود الأمريكيون والروس وغيرهم من جنود الحلفاء الذين حرروا تلك المعسكرات شهداء أيضا على أنه ما زال هناك أمل في الحياة. وغدا ستتاح لكم الفرصة للاستماع إلى أحد الجنود الأمريكيين يتكلم عن إحدى هذه القصص. غدا سوف يقص عليكم الملازم جون ويزرس، من سرية الشاحنات ٣٥١٢ للإمداد والتموين الأفريقية الأمريكية، كيف غيّر هو وجنوده حياة ولدين صغيرين عندما أنقذوهما من داخاو.

وإذا كنا نفخر بالدور الذي قام به جنودنا في تحرير معسكرات الاعتقال، فإننا ندرك مع ذلك أننا جميعا وصلنا متأخرين أكثر مما ينبغي بالنسبة لمعظم الضحايا.

وفي الأسبوع الماضي رحل عن عالمنا مواطن بولندي عظيم. لقد عرّض جان نوفاك، أثناء الحرب العالمية الثانية، حياته للخطر، ولم يكن يهوديا، بمغادرته بولندا لكي ينقل للغرب أخبار الإبادة الجماعية النازية. وكان لي شرف مقابلة جان نوفاك في شقته في وارسو منذ ثلاثة أشهر فقط. وقد ذكر أنه بعد الحرب، عندما تمكن من رؤية سجلات مقابلاته

السرية مع المسؤولين الغربيين، وجد أنه لم يرد فيها أي ذكر لما قاله لهم عن يهود بولندا. وقد عزا نوفاك ذلك إلى ''مضايقات الحرب''. لقد كان يدلي بحقائق لا يريد الناس أن يعرفوها.

وبالرغم من الوعود المتحمّسة التي قطعناها على أنفسنا بألا ننسى أبدا ما حدث، فإننا ندرك أن هناك أحداثا كثيرة جدا وقعت في العقود الستة منذ تحرير معسكرات الاعتقال عندما تجاهل العالم الحقائق المقلقة كي لا يفعل شيئا حيالها أو عندما تأخر كثيرا في الرد عليها.

لقد اتفقنا اليوم على أن نضع جانبا القضايا السياسية المعاصرة كي نتأمل في أحداث الستين عاما الماضية بروح جماعية. ولكن فلنفعل ذلك بتصميم إجماعي على أن نعطي معنى حقيقيا لتلك الكلمات ''لن ننسى أبدا''، وبتصميم على أننا حين نجد أنه من الصعوبة بمكان أن نفعل شيئا، فإن علينا على الأقل واجبا بأن نقول الحقيقة.

وفي يوم الخميس الماضي، عندما بدأ الرئيس بوش فترة ولايته الثانية، أعرب عن إيمانه بأنه لا يمكن فصل مصالح أمتنا عن مطامح الآخرين في التحرر من الطغيان والقمع. فقد قال:

> ''إن المصالح الحيوية الأمريكية ومعتقداتنا العميقة الآن شيء واحد. فمنذ تأسيس دولتنا أعلنا أن لكل رجل أو امرأة على هذه الأرض حقوقه وكرامته وقيمته التي لا نظير لها ... وطوال تعاقب الأجيال أعلنا حتمية الحكم الذاتي لأنه ليس هناك من يصلح أن يكون سيدا، وليس هناك من يستحق أن يكون عبدا. إن التطلع إلى هذه المثل .... هو الإنجاز المشرف لآبائنا ... ونداء عصرنا''.

إن الأمريكيين ملتزمون بالعمل مع جميع الدول ذات النوايا الحسنة للتخفيف من المعاناة التي يشهدها عصرنا هذا. وما زلنا نأمل أنه عندما تتطلع الأجيال القادمة إلى هذه الحقبة، سوف ترى أننا أخلصنا في الوفاء بالتعهد الذي انبثق من رماد وحشية الإنسان تجاه الإنسان: وهو ألا يتكرر ذلك أبدا.

لن يتكرر ذلك أبدا، ولن ننسى ذلك أبدا. ويجب أن نتذكر ذلك دائما؛ وينبغي أن نواصل الكلام عن كل ما حدث من أعمال فظيعة. ولذلك فإننا نشيد بالأمم المتحدة لإحياء ذكرى المحرقة، التي تتناسب مع أهميتها في التاريخ البشري. وإننا إذ نفعل ذلك ربما نستطيع أن نساعد على تجنب وقوع مثل تلك الأعمال اللاإنسانية وما يواكبها من حروب.

الرئيس (تكلم بالفرنسية): أعطي الكلمة الآن لممثل لكسمبرغ، دولة السيد جين أوسيلبورن، نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية، الذي سيتكلم بالنيابة عن الاتحاد الأوروبي.

السيد أوسيلبورن (لكسمبرغ) (تكلم بالفرنسية): هناك أماكن وأحداث لا يمكن أن تنمحي من ذاكرة التاريخ. إنها تظل دائما حاضرة في أذهان البشر. إن أوشويتز – بيركيناو، وبيرغين – بيلسين، وتريبلينكا وغيرها من معسكرات الموت، تشكل جميعا أماكن رمزية لا يمكن نسيانها. وتظل جميعا جرحا داميا في الضمير الأخلاقي للبشرية. فقد حدثت إبادة متعمدة ومخطط لها ومنظمة لملايين البشر في مصانع الموت النازية. وموورست هناك تجربة الإذلال ونكران الإنسانية بأقصى صورها.

إن كلمات إيلي ويسيل تعبر عن كل ما حدث بفظاظة: ''لقد حضر القتلة هناك لكي يقتلوا، وجاء الضحايا لكي يموتوا''. سوف نتذكر دائما أولئك الرجال والنساء، أولئك الأطفال – الذين اضطهدوا بسبب أصلهم العرقي أو ديانتهم، أو بسبب معتقداتهم السياسية أو انتمائهم الوطني – وهم ضحايا الهمجية والكراهية. لقد كانت معاناتهم قاسية

وتجربتهم يعجز عنها الوصف. وكل ما تبقى لنا من ذلك هو واجبنا بأن نتذكر ما حدث وهذا النداء الأخلاقي الحيوي ”لن يتكرر ذلك أبدا!“.

ومع ذلك، فإن ذكرى الضحايا تذكرنا أيضا بواجب آخر – وهو السعي إلى فهم سلسلة الأسباب والآثار المترتبة، والمنطق المرعب الذي قاد ملايين البشر إلى حتفهم، والذي ما زال، بعد ستين عاما، بعيدا عن إدراكنا. وعن طريق هذا البحث في الحقائق التاريخية يمكننا فقط أن نستخلص العبر الأخلاقية والسياسية من جحيم معسكرات الاعتقال حتى نمنع تكرارها مرة أخرى. وكما ذكّرنا جورج سانتايانا في قولته المشهورة، إن الذين لا يذكرون الماضي محكوم عليهم بتكراره. وللبحث عن أسباب المحرقة التي ضربت يهود أوروبا بتلك الوحشية وبشكل أعمى، يجب أن نبحث أيضا عن الأسباب وراء الرغبة في الإبادة، والتي كان ضحيتها رجالا ونساء آخرين، وأن ندين الأيديولوجيات التي تحض على الكراهية والاستبعاد المتأصلة في معاداة السامية والعنصرية وكراهية الأجانب، والتي لم يزل، لسوء الحظ كما نعرف جميعا، يدافع عنها البعض في عالم اليوم.

إن واجبنا بأن نتذكر يملي علينا أيضا التزاما بالتثقيف، ولا سيما تثقيف الأجيال الشابة. وهذا لا يعني أنه مجرد واجب أخلاقي فحسب، بل إنه أيضا واجب مدني على أعلى وأنبل المستويات لا يمكننا أن نحيد عنه.

إنني في الحقيقة متأثر جدا بفكرة التكلم اليوم أمام الأمم المتحدة بالنيابة عن الاتحاد الأوروبي، في هذه المناسبة للاحتفال بالذكرى الستين لتحرير معسكرات الاعتقال. وهي فرصة للتعبير عن مدى احترامنا للعدد الذي لا يحصى من ضحايا مصانع الموت – المعروفين والمجهولين. كما أنها فرصة للإشادة مع الامتنان بقوات الحلفاء التي قامت، منذ ستين عاما، بإنهاء كابوس النازية ومكّنت من تحرير القلة القليلة التي نجت من معسكرات الموت.

ويبدو من المناسب أن يعقد هذا الاجتماع التذكاري في الأمم المتحدة، المنظمة التي انبثقت من تحت أنقاض الحرب، والتي يتحدث ميثاقها، في ديباجته، عن معاناة الجنس البشري التي يعجز عنها الوصف. ويبشر الميثاق بظهور نظام عالمي أكثر إنصافا وأمنا، مستندا إلى احترام حقوق الإنسان والقانون الدولي، ومنظما حول المؤسسات الدولية، التي ورثناها من أصحاب البصيرة الذين اجتمعوا في سان فرانسيسكو قبل ٦٠ سنة والذين أنشأوا الأمم المتحدة، التي تظل مصدر إلهام وأمل الجنس البشري كله.

النصان العظيمان، اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، المعتمدان في ٩ و١٠ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤٨ على التوالي، يعربان عن نفس الرؤية المشرّبة بالروح الإنسانية. وعلى نفس المنوال أُطلق المشروع الأوروبي بعد فترة قصيرة من الحرب العالمية الثانية. وأساسا، كان المشروع الأوروبي ولا يزال مشروع سلام يسعى، على حد تعبير معاهدة باريس لعام ١٩٥١:

> ”إلى استبدال التناحرات القديمة العهد بإدماج المصالح الضرورية [للدول الأطراف]؛ وإلى إنشاء قاعدة، عن طريق تأسيس مجتمع اقتصادي، لمجتمع أوسع وأعمق بين الشعوب التي كثيرا ما فرقت بينها الصراعات الدموية؛ والى إرساء أسس المؤسسات التي ستحدد من الآن فصاعدا الاتجاه نحو مصير مشترك“.

وبهذا، تمثل الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي، من بين مؤسسات أخرى، محاولتين لاستخلاص العبر من تجربة المعسكرات والحرب المؤلمة بشدة.

تلك التطلعات السامية والنبيلة يجب الحفاظ عليها حية وتكييفها مع المطالب الخاصة لعصرنا. تلك هي مسؤوليتنا وواجبنا والتزامنا. وعلينا أن نتذكر أن العبارة المألوفة ''لن يتكرر مرة أخرى''، التي ذكرتُها في وقت سابق، يجب أن لا تقتصر على كونها مجرد موعظة أخلاقية، مهما كانت قوتها. يجب أن تصبح مرشدا ثابتا يهدي سلوكنا في رسم وتطبيق السياسات والتدابير التي يتوجب علينا تنفيذها. وهكذا تصبح الذكرى تذكرة حية في عمل إيماني مخلص استجابة لشهادة صامتة ولكن بليغة ورثناها من ضحايا معسكرات الموت.

فلنتعظ بتحذير الشاعر بول إلورد، الذي ذكّرنا بأننا إن سمحنا لصدى أصوات ضحايا معسكرات الاعتقال بأن يخفت فإننا سنهلك.

الرئيس (تكلم بالفرنسية): أعطي الكلمة للسيد مارسيلو بيرا، رئيس مجلس الشيوخ في ايطاليا.

السيد بيرا (ايطاليا) (تكلم بالانكليزية): في هذه الدورة الاستثنائية للجمعية العامة نواجه واجبات كثيرة. القائمة طويلة والعبء الذي تفرضه علينا ثقيل.

علينا واجب قول الحقيقة. المحرقة ليست نتاج خيال أو دعاية أو مهاترات. إنها حقيقة تاريخية مأساوية فريدة. وأولئك الذين ينكروها أو يستخفون بها أو يحاولون تغييرها إنما يرتكبون جريمة أخرى.

وعلينا واجب تذكر وإجلال ذكرى الملايين من البشر الذين قتلوا باستخدام الغاز وعذبوا وجوعوا وأُجبروا على الموت بأشد السبل مهانة.

وعلينا واجب فهم كيف أمكن لأوروبا، وهي في قمة حضارتها، أن ترتكب هذه الجريمة؟ كيف أمكن لألمانيا النازية، وإيطاليا الفاشية، وفرنسا المتعاونة وآخرين عديدين أن يصبحوا مسؤولين – بطرق مختلفة وبدرجات مختلفة – ولكن مسؤولين على أية حال – عن تلك المذبحة المروعة؟ لا يمكننا أن نعزو تلك المسؤوليات إلى جنون الناس المفاجئ. فعندما يجن جنون بلدان بأكملها، يكون السبب أن الناس غُسلت أدمغتهم بأيديولوجيات عنيفة وأساطير زائفة.

إن المحرقة لم تظهر من لا شيء. فالثقافة مهدت الطريق بأفكار فاسدة مثل الرغبة في السيطرة ، و ''الرجل الخارق''، والمؤامرة والتفوق العرقي. أما المناورات السياسية فقد قدمت الوسيلة للشرعية. أما الباقي فقد قدمه النظام النازي: خطة مرسومة بدقة هدفت إلى تجريد سكان بأسرهم من هويتهم ومن وجودهم.

وعلينا واجب إلزام أنفسنا بتلك القيمة الأساسية لكرامة الإنسان – أي إنسان – التي تعلمتها أوروبا من أصولها اليهودية – المسيحية، ودافعت عنها أثناء حروب الأديان، وخسرت عندما سقطت ضحية لفكرة أن الأفراد لا يساوون شيئا، وأن استقلاليتهم يجب أن تخضع لمصير الجماهير والدول بوصفها كيانات معنوية مستقلة.

وعلينا واجب تعليم مبادئ الحرية والتسامح والاحترام والتضامن ونشرها والدفاع عنها وإقرارها، لأنها أفضل ترياق ضد أي نوع من التمييز. وعلينا واجب النضال من أجل القواعد والمثل العليا للحرية والديمقراطية التي تشكل الأساس للجماعة، مثل هذه الجمعية، وميثاق الأمم المتحدة، وواجب الكفاح ضد أولئك الذين ينكرونها.

أخيرا، علينا واجب الاعتراف بأن معاداة السامية لا تزال منتشرة بيننا. وأنها، اليوم، تتغذى أيضا على محاولات التمييز الماكرة التي غالبا ما تخلط بين إسرائيل والدولة اليهودية، وإسرائيل وحكوماتها، والصهيونية والسامية. أو تبرز على نحو غير متوقع حينما يوصف النضال من أجل الحياة الذي يخوضه الإسرائيليون بـ ''إرهاب الدولة''.

كل هذا يفضي بنا إلى سؤال مزعج. هل يمكن للمحرقة أن تتكرر مرة أخرى؟ بصورة عقلانية، لا يمكن أن تتكرر. فالأنظمة الأوروبية الاستبدادية أفسحت الطريق للديمقراطية؛ ومجتمعاتنا ومواطنونا يتمتعون بقدر لم يسبق له مثيل من الحرية؛ والحقوق المدنية مضمونة بدساتيرنا ومواثيقنا. إلا أننا يجب أن نكون متنبهين للمخاطر الجديدة.

وكوني، إيطاليا، فإنني أود أن أشدد على أوروبا والغرب. بينما تنمو حضارتنا من حيث الرفاهية الاقتصادية والعدالة الاجتماعية، إلا أنها أظهرت أنها متأخرة وضعيفة في مواجهة التهديدات الجديدة الناجمة عن انبعاث الصراعات الدينية والإرهاب الدولي على أساس الأصولية والتعصب. إن أوروبا تشعر اليوم بإجهاد أخلاقي وتعاني من أزمة هوية. إنها متأثرة بنظرية نسبية الحقائق الأخلاقية، والعدمية، والتعدد الثقافي، ومعارضة الحرب، ومناهضة العولمة.

وبالتالي، ينبغي ألا ندهش من أن ٦٠ في المائة من المشاركين في استطلاع آراء أوروبي أجري مؤخرا يضعون إسرائيل – إلى جانب الولايات المتحدة – بين البلدان التي تشكل أكبر تهديد للسلم العالمي، وألا ندهش من أن أوروبا لم تستطع الإشارة إلى جذورها اليهودية – المسيحية في معاهدها الدستورية.

وهذه حالة مؤسفة. وتنطوي على خطر أيضا، لأننا إذا فقدنا إيماننا بأصولنا وشوهنا هويتنا؛ وإذا ما أصبحنا نعتقد أن قيمنا الأساسية ليست أفضل من القيم الأخرى؛ وإذا ما بدأنا نفكر في أن تكلفة الدفاع عنها أعلى مما يجب؛ أو إذا ما استسلمنا للابتزاز أو الخوف، إذن لن تصبح لدينا أدوات لمكافحة العنصرية المعادية لليهودية التي لا تزال تسممنا، أكثر مما لدينا لمكافحة العنصرية الأصولية والإرهابية التي تعرض التعايش السلمي للخطر. وعلى عكس ذلك، إذا ما اتفقنا على حقوق الإنسان الأساسية، على نحو ما تضمنها العديد من المواثيق الدولية؛ وإذا ما جعلناها معيارا ينبغي أن تراعيه جميع الثقافات والحضارات؛ وإذا ما وقفنا في وجه المستبدين وجعلنا حياتهم شاقة، عندئذ لن نعاني من تلك الفظائع مرة أخرى أبدا ولن نواجه مثلها.

لقد عملنا الكثير. ونحن في إيطاليا أصدرنا تشريعات لمكافحة العداء للسامية والعنصرية؛ واتخذنا قرارات في البرلمان؛ ولدينا يوم وطني لذكرى المحرقة ”شواه“، التي نحييها كل سنة في مؤسساتنا ومدارسنا. ونقوم بأعمال كثيرة، ولكن لا يزال هناك الكثير – والكثير جدا – مما ينبغي عمله، لأن التحدي جدي والمخاطر عالية.

قبل ستين سنة، عندما فُتح معسكر أوشويتز والمعسكرات النازية الأخرى، أدركت أوروبا وكل سكان العالم المتمدن أنهم صرفوا أنظارهم وشعروا بالذنب لأنه لم يكن لديهم بُعد نظر كاف، ولم يتحلوا بالشجاعة في اللحظة المناسبة، ولم يتصرفوا بطريقة صحيحة. واليوم يجب علينا أن نفعل العكس تماما.

الرئيس (تكلم بالفرنسية): أعطي الكلمة للسيد يوشكا فيشر، نائب المستشار الاتحادي، ووزير خارجية ألمانيا.

السيد فيشر (ألمانيا) (تكلم بالألمانية؛ وقدم الوفد نصا بالانكليزية): إن اسم معسكر أوشويتز يقوم مقام المحرقة ”شواه“، أعظم جريمة ضد الإنسانية في القرن العشرين.

في ٢٤ كانون الثاني/يناير ١٩٤٥، قبل ٦٠ سنة من هذا اليوم، كان زبانية الشرطة العسكرية الألمانية في أوشويتز يحاولون بشكل أهوج إزالة كل الآثار الدالة على قتلهم الملايين. فكانوا يحرقون الملفات، ويفجرون غرف الغاز، ويفككون أفران الحريق. وسيق ما لا يحصى من السجناء المنهكين كالقطيع في مسيرة نحو الغرب لن ينجو منها الكثيرون. ثم أحبطت القوات السوفياتية التي وصلت المعسكر

في ٢٧ كانون الثاني/يناير ١٩٤٥ محاولة النظام النازي ليخفي من عيون العالم المحرقة، تلك الجريمة المرتكبة ضد الإنسانية، والتي يعجز عنها الوصف.

ولم يكن تحرير أوشويتز وقتا للفرح أو الانتصار لأنه جاء متأخرا أكثر من اللازم بالنسبة تقريبا لجميع الذين أبعدوا إلى هناك. إذ لم ينج سوى القليلين من ذلك الجحيم المقام على الأرض. واختلط ارتياحهم لتحريرهم بالمعرفة المؤكدة للمصير الفظيع الذي عانى منه ما لا يحصى من الذين لم يعد ممكنا إنقاذهم.

ووصف بريمو ليفي، أحد الناجين، انزعاج الجنود عندما وصلوا مشهد الرعب، قائلا:

”لم يحيّونا، ولم يبتسموا؛ وكان يبدو أنهم لم تبهتهم الشفقة فحسب بل أن كابحا مربكا ألجم أفواههم وسمّر أعينهم على المشهد الجنائزي“.

ووُجهت القوات الأمريكية والبريطانية المتقدمة إلى ألمانيا من ناحية الغرب أيضا بجرائم مريعة في معسكرات الاعتقال التي حررتها. ونجا صمويل بيسار من مايدانك وأوشويتز وداشو، حيث حررته القوات الأمريكية. وحكى مؤخرا في صحيفة واشنطن بوست قصة مؤثرة عن تجاربه.

لقد وقع الملايين ضحايا للقتل الجماعي الوحشي الذي خطط له النازيون بدم بارد: اليهود في المقام الأول، ولكن أيضا طائفتا السينتي والروما (الغجر)، والمثليون، والمعوقون، وسجناء الحرب، والمنشقون وآخرون كثيرون من جميع أنحاء أوروبا. عُذبوا ببربرية وقتلوا بوحشية عن طريق العمل الإجباري والتجارب الطبية الزائفة، وأعدموا وقتلوا بالغاز، في أوشويتز، وتريبلينكا، وسوبيبور، ومايدانك ومعسكرات الاعتقال والإبادة الأخرى، بأوامر من القيادة الألمانية وعلى أيد ألمانية.

وحتى اليوم، بعد ٦٠ سنة من الكارثة، من الصعب إيجاد كلمات تعبر عن معاناة الضحايا وألمهم وإهانتهم. إننا اليوم نتوجه بتحية إجلال متواضعة إلى جميع ضحايا نظام الرعب الوطني الاشتراكي ونحني رؤوسنا في حزن عميق.

كان معسكر أوشويتز أفظع تعبير عن نظام أعماه الجنون العنصري. وأدت إيديولوجية ألمانيا النازية أيضا إلى حرب إبادة فظيعة ضد بولندا والاتحاد السوفياتي، تسببت في معاناة لا توصف للشعوب هناك. وسيظل أوشويتز محفورا إلى الأبد في تاريخ البشرية كرمز للاحتقار التام للإنسانية والإبادة الجماعية، وسيظل على وجه الخصوص محفورا في تاريخ وذاكرة شعبي بوصفه ذلك الرمز. وجسد أوشويتز أيضا الخطة النازية المرعبة للقضاء المبرم على اليهود الألمان والأوروبيين بمساعدة جهاز صناعي للإبادة. وكلف ستة ملايين يهودي – رجالا ونساء وأطفالا – أرواحهم.

وذات مرة وصف إيلي وايسل قتل الأطفال اليهود، أي تدمير المستقبل، بأنه أسوأ جريمة، قائلا:

”كانوا دائما أول من يؤخذ ويرسل إلى الموت. وإذا ما شرعت في ذكر أسمائهم، آل مويشيليس، وآل سوديليس، وهذا وذاك، سأقف هنا شهورا وسنين“.

وهذه الجريمة البربرية ستظل دائما جزءا من التاريخ الألماني. وهي تعني لبلدي فظاعة أخلاقية مطلقة، وإنكارا لكل ما يتعلق بالمدنية، لم يسبق له نظير ولا مواز. وقد استخلصت ألمانيا الديمقراطية الجديدة العبر. وقد وسمتنا المسؤولية التاريخية والأخلاقية عن أوشويتز بسمة لا تُمحى. وفي عام ١٩٤٩ جعلت ألمانيا الديمقراطية تحريم انتهاك الكرامة الإنسانية محور دستورها. ونقرأ في المادة ١ من القانون الأساسي:

”لا يجوز انتهاك الكرامة الإنسانية. ويجب أن يكون احترامها وحمايتها واجب جميع سلطات الدولة“.

إنها تلك المسؤولية عن المحرقة التي تستلزم واجبا معينا على ألمانيا تجاه دولة إسرائيل. وقد طلب الرئيس الألماني الاتحادي يوهانس راو من البرلمان الإسرائيلي، الكنيست، العفو عما لا يوصف من المعاناة التي لقيها اليهود على أيد ألمانية، فقال إني فعلتُ ذلك

”من أجل نفسي وجيلي، ومن أجل أطفالنا وأحفادنا، الذين أود أن أرى مستقبلهم إلى جانب أطفال إسرائيل“.

وبالنسبة إلينا سيكون للعلاقات الألمانية – الإسرائيلية دائما طابع خاص جدا. وحق دولة إسرائيل في الوجود وامن مواطنيها سيبقيان أبدا سمتين ثابتتين للسياسة الخارجية الألمانية. وعلى ذلك يمكن لإسرائيل أن تعول دائما.

وهذه السنة نحتفل بالذكرى السنوية الأربعين لإقامة علاقات دبلوماسية بين إسرائيل وألمانيا. وحقيقة أن إسرائيل تعتبرنا شريكا معولا عليه اليوم لا يمكن أن تكون أمرا مسلما به وهي تملؤنا بالامتنان العميق.

وماضينا يجعل من واجبنا أن نبعد ونكافح كل أشكال اللا سامية، وأيضا العنصرية وكره الأجانب والتعصب. ولذلك، يجب علينا ألا نقف مكتوفي الأيدي بينما يتعرض الناس إلى الإهانة أو الاعتداء أو الإصابة بسبب عقيدتهم. يجب علينا ألا نغض الطرف بينما تخرب الكنس عمدا أو تدنس. ويجب ألا نبقى صامتين في وجه الدعاية اللا سامية الخبيثة. يتعين علينا أن نواجه تهديد اللا سامية بأقصى تصميم وبكل قوة القانون.

وعلى أية حال فإن الجواب عن السؤال عما إذا كان المواطنون اليهود ومجتمعاتهم الصغيرة يشعرون بالأمان وبالحرية في بلداننا مؤشر حاسم على حالة نظامنا الديمقراطي. ويجب علينا، بخاصة في بلدي، أن نطرح السؤال كل يوم مجددا وان نعطي جوابا ايجابيا.

وبناء الثقة والمصالحة عن طريق التحرك معا والتعاون الوثيق هما أيضا استجابة أوروبا لفظائع المأساة والحرب العالمية الثانية. ولذلك من المهم أهمية خاصة بالنسبة إلينا أننا، منذ أيار/مايو ٢٠٠٤، شركاء مع جيراننا الشرقيين، وفي المقام الأول مع بولندا، في الاتحاد الأوروبي الذي تزداد عرى وحدته قوة.

قبل ٦٠ سنة، ونتيجة عن الجرائم الخسيسة التي ارتكبتها الاشتراكية القومية، أسست الأمم المتحدة. ولذلك اجتمعنا هنا اليوم في مقر الأمم المتحدة لإحياء ذكرى ضحايا الإبادة الجماعية ضد يهود أوروبا التي اقترفها النازيون.

والأعضاء المؤسسون للأمم المتحدة وضعوا للسبب الذي لا يقل أهمية، وهو التجربة الرهيبة للحرب والطغيان النازي، الالتزام بحقوق الإنسان الأساسية وبكرامة وقدر الإنسان في صدارة ديباجة ميثاق الأمم المتحدة. إن منع الإبادة الجماعية، عبارة ”وقد آلينا على أنفسنا ألا يحدث ذلك مرة أخرى“ المدوية، سبب الوجود المركزي للأمم المتحدة.

وعلى وجه الدقة لأن الإبادة الجماعية لا تحدث أبدا دون إنذار تماما فعلينا أن نعمل لمكافحة نذرها المنذرة بحدوثها. علينا أن نقاوم بحزم الحرب والحرب الأهلية وانتهاك حقوق الإنسان، وأيضا التفكير الشمولي ودعاية الكره وتمجيد العنف. هذا هو واجبنا.

ولفعل ذلك نحن بحاجة إلى التعاون المتعدد الأطراف الفعال. والأمم المتحدة مناسبة على نحو فريد لمنع الإبادة الجماعية ومن المشروع أن تقوم الأمم المتحدة بمنعها. هذا هو

اقتناعي الثابت. وعلى أية حال، لا توجد منظمة أخرى لديها التجربة الكبيرة في منع الصراعات وحماية حقوق الإنسان. وتحقيق مزيد من تعزيز المنظمة العالمية في ذلك المجال هو بالتالي إحدى أولويات السياسة الخارجية الألمانية. ويجعل تاريخنا ذلك متعينا علينا.

وبعد تحرير معسكرات التركيز بستين سنة تقل جماعة الباقين على قيد الحياة يوما بعد يوم. ولا يمكن لأرشيف أو شريط أو تاريخ أن يصور تجاربهم المؤلمة على نحو فعال كما تفعل رواياتهم الشخصية أنفسهم. ونحن الذين يمكننا أن نصغي إلى الباقين على قيد الحياة تقع على كاهلنا مسؤولية سرد قصتهم على أجيال المستقبل.

وإذا أردنا أن نعيش معا في ظل السلام والاحترام المتبادل يجب علينا ألا ننسى أبدا الوحشية التي يستطيع الجنس البشري أن يبديها. على أية حال، كما قال الرئيس الاتحادي السابق ريتشارد فون وايزاكر في خطابه في ٨ أيار/مايو ١٩٨٥:

> ”إن كل من يغمض عينيه عن الماضي لا يرى الحاضر. ومن يرفض أن يتذكر اللاإنسانية معرض لمخاطر العدوى الجديدة“.

إن حقيقة أن الكارثة اليهودية أمكنها أن تحدث في القرن العشرين في قلب أوروبا وعلى أيدي الألمان ينبغي أن تكون رسالة تذكير دائم بان وجود مجتمع مستنير ومتسامح ومنفتح ينبغي ألا يكون أمرا مسلما به. يجب علينا أن نعمل كل يوم لضمان أن يبقى نابضا بالحياة. وذكرى الذين قتلوا عن عمد وألم الباقين على قيد الحياة من معسكرات الإبادة التي قام بها الاشتراكيون القوميون يلزماننا بذلك الهدف المشترك. يجب أن نطمح إليه معا.

الرئيس (تكلم بالفرنسية): أعطي الكلمة الآن للسيد ميشيل بارنييه، وزير الشؤون الخارجية لفرنسا.

السيد بارنييه (فرنسا) (تكلم بالفرنسية): قبل ستين سنة، حينما أطبق الحلفاء على أراضي الرايخ، مما ضاعف من فظائع القتال اكتشاف المعسكرات المروع. وبريان اوكهارت، في بيانه حول بيلسن، جعلنا نراها على نحو واضح. وجميع أمثاله، الذين التقت عيونهم في ذلك الوقت بالنظرات المحدقة الشديدة القلق للباقين على قيد الحياة، والذين وجدوا كومات الجثث الهزيلة، والذين شاهدوا النفس الأخير الممزق للقلب للأشخاص الذين جاء التحرير متأخرا جدا بالنسبة إليهم، ترك ما لا يتصور ولا يوصف عليهم أثرا دائما طوال الحياة.

بنى النظام النازي، من أيامه الأولى لتولي السلطة في ١٩٣٣ فصاعدا، نظاما قاسيا وعنيدا للقمع. وبينما تهاوت أجزاء متزايدة من أوروبا أمام آلة هتلر تزايدت قائمة أماكن المعاناة: بلزك: ٦٠٠ ألف ميت؛ سوبيبور: ٢٥٠ ألفا؛ ماجانيك، الذي تكلم عنه السيد غيريميك في وقت سابق: ٢٣٠ ألفا؛ تريبلينكا: ٨٠٠ ألف؛ اوشفيتز: أكثر من مليون.

في أماكن الموت هذه كان أول الضحايا من الألمان: معارضين سياسيين، وأعضاء نقابات ومثقفين. واليهود، الذين لوحقوا بكره خاص، عرضوا لمعاملة خاصة من البداية، مع تسميتهم ”اعد غير المرغوب فيهم“. وتم إفناء تسعين في المائة من يهود ألمانيا. وقمع النازيون كل أشكال المقاومة: المرضى والمعاقين، الذين لوثوا ”الدم الألماني“، والغجر واللواطيين، الذين عقموا الآلاف منهم. والتهمت النار الرهيبة النساء والأطفال والمسنين.

وباحتلال أوروبا وجدت الوحشية مجالا أوسع. إن اليهود الذين كانوا قد فروا من ألمانيا واليهود من الأمم المستعبدة تم تعقبهم واعتقالهم أو أرسلوا إلى معسكرات القتل، في اغلب الأحيان بالتعاون من جانب جهاز الدولة لكثير من هذه البلدان.

كانت هذه حالة فرنسا حيث، كما قال الرئيس شيراك رسميا في خطابه في فيل دهيف في تموز/يوليه ١٩٩٥، ''إن المحتل ساعده في غبائه الإجرامي الشعب الفرنسي والدولة الفرنسية''. وردا على تلك الخيانة، واستجابة لنداء تشارلز ديغول، نهضت المقاومة بينما خبأ وأنقذ المواطنون المثاليون - ''العادلون'' - وهم يخمنون مصير المطرودين، الآلاف من اليهود. وجنود الظلال هؤلاء وهؤلاء الأبطال المجهولون حملوا، بدورهم، وقد طوردوا هم أنفسهم، على قطارات ''الليل والضباب''، إذا لم يكونوا قد ماتوا فعلا بفعل التعذيب أو أمام الزمرة المكلفة بتنفيذ حكم الإعدام رميا بالرصاص.

سعى المشروع النازي إلى نفي الإنسانية. كتب على ''الجنس الأدنى'' أن يزول نهائيا. اليهود، في المقام الأول، بلوروا الهوس بالإفناء. وإلى رعب الوحشية المنظمة أضاف النازيون الإبادة الجماعية بـ ''الحل النهائي''. وتحرير المعسكرات، فضلا عن إنهاء المعاناة الأشد، أعاد إلى المطرودين الموتى والأحياء هويتهم وكرامتهم بوصفهم من بني الإنسان.

لقد ولدت أممنا المتحدة من رحم حرب ليست كغيرها من الحروب، ولم يسبق لها مثيل لا من حيث نطاقها الجغرافي ولا خسائرها البشرية المروعة التي بلغت ٥٥ مليون قتيلاً - معظمهم من المدنيين - ولكن من حيث طابع الإبادة الجماعية الفريد من نوعه. بيد أن النصر كان حليف الأمم التي اتحدت ضد تلك الوحشية. ومن خلال إنشاء منظمة دولية على أساس من القانون، تعاهدت الأمم على أن تجنب العالم كارثة أخرى من هذا القبيل.

ومن بين الآمال التي تحققت، ومن بين الوعود التي أُوفيت، أود أن أذكر بداية ذلك التقدم الهائل المحرز في ميدان القانون الدولي: فقد أُرسيت شروط الاستخدام المشروع للقوة، واعتُرِف بحقوق الإنسان في إعلان عالمي. ومن الأمور ذات الدلالة الرمزية، أن الملهِم الأول لذلك النص، رينيه كاسين، الحائز على جائزة نوبل للسلام، يهودي من قدامى المحاربين أصيب إصابة بالغة في الحرب العالمية الأولى وكان عضواً رائداً في المقاومة.

والديمقراطية المثالية التي أشار إليها السيد يوشكا فيشر والتي أرسيت دعائمها في جمهورية ألمانيا الاتحادية عقب الحرب مباشرة هي سبب آخر للارتياح، بعد الانحراف الفظيع لنظام كان يزدري كل إسهام للثقافة الأوروبية العظيمة في العالم. واستطاعت أوروبا المحطمة أن تشرع في السير على الطريق المؤدي إلى الوحدة، أي إلى السلام. وقد تواصلت مسيرة السلام تلك منذ عام ١٩٥٠ بدون توقف. والتقدم على هذا الطريق مستمر حتى اليوم.

وأخيراً، فإن الشعب اليهودي، الذي حاول النازيون أن يقضوا عليه، قد تمكن من إنشاء ملاذه - دولته - في أرض إسرائيل، بموجب قرار لهذه الجمعية وبفضل شجاعة وقوة الرواد المؤسسين.

ولكن، على مدى أكثر من ٦٠ عاماً، كم من وعود لم يُوف بها في شتى أنحاء العالم؟ وكم من التزامات لم تحترم؟ وكم من نساء وأطفال ورجال ذبحوا في كمبوديا ورواندا والبلقان وأماكن أخرى؟ وكم من حقوق داستها الأقدام؟

لقد جاء هذا التخليد لكي يذكرنا بالوعد الذي قطعته كل دولة من دولنا على نفسها لدى انضمامها إلى هذه المنظمة والتزامها بمبادئ ميثاقها:

> ''أن ننقذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب ... وأن نؤكد من جديد إيماننا ... بكرامة الفرد وقدْرِه، وبما للرجال والنساء من حقوق متساوية ... وأن نكفل ألا تستخدم القوة المسلحة في غير المصلحة المشتركة''.

وفرنسا، شأنها شأن شركائها الأوروبيين كافة، قد أيدت بشدة فكرة عقد هذه الدورة الاستثنائية، فهي موضع فخر للجمعية. وتحرير المعسكرات تحرير لكل البشرية؛ وحري بكل البشر أن يذكروا ذلك وأن يتوخوا الحذر. وهذا ما سنفعله اليوم، وهو ما سنفعله بأعداد غفيرة في أوشفيتز يوم الخميس.

ولا بد أن تتوخى البشرية جانب الحذر. فالحذر هو واجبنا الذي تفرضه علينا ذكرى الأعداد الكبيرة من الأشخاص الذين تُركوا في مواجهة الوحشية المنهجية للنازي. ولا بد أن نتوخى الحذر والشدة إزاء كل من لا يزال يجرؤ على إنكار تلك الجريمة وإزاء معاداة السامية وكل أشكال العنصرية.

وأود أن أختتم باقتباس مقاطع من قصيدة نظمها راعي كنيسة ألماني، قام بترحيله ألمان آخرون على مدى سبع سنوات. ففي بضعة أبيات من الشعر، يُذكرنا مارتن نيمولر بما قد يقودنا إليه الاستبداد. فكتب يقول:

”في البداية، جاءوا يفتشون عن الشيوعيين،
فلم أقل شيئاً – لأنني لم أكن شيوعياً. بعد ذلك
جاءوا يفتشون عن الاشتراكيين، فلم أقل شيئاً –
لأنني لم أكن اشتراكياً. ثم جاءوا يفتشون عن
الكاثوليك، فلم أقل شيئاً– لأنني لم أكن كاثوليكياً.
ثم جاءوا يفتشون عني – فلم يتبق من يدافع عني“.

يجب ألا ننسى البتة. فعندما ظهرت البوادر الأولى لاضطهاد اليهود، وهو ما أشار إليه البروفيسور فيسل في وقت سابق – عندما ظهرت أولى تلك البوادر وكان ذلك نذيراً بالكارثة، كم عدد من أعلنوا رفضهم؟ كم عدد من أسمعوا صوتهم؟ إن واجب الذكرى هو الذي يوحدنا اليوم. وواجب الذكرى هو الذي يحملنا على توخي الحذر، بل إنه يدفعنا إلى العمل.

الرئيس (تكلم بالفرنسية): أعطي الكلمة الآن للسيد بيير ستيوارت بيتيغرو، وزير خارجية كندا.

السيد بيتيغرو (كندا) (تكلم بالانكليزية): هذه لحظة ألم عميق، تلك التي تجمعنا هنا اليوم لكي نتحدث إلى ممثلي العالم في هذه الجمعية العامة الموقرة. فهذه بالفعل مناسبة مهيبة يكتنفها الحزن بالنسبة لحكومتي ولجميع مواطنيّ في كندا.

لكن، أصدقكم القول، ما كان ينبغي لنا أن نكون هنا اليوم. ففي عالم مثالي، ما كان لنا أن نحيي ذكرى مقتل ستة ملايين من البشر. لكنه ليس بالعالم المثالي الذي نعيش فيه. فقبل ٦٠ عاماً، اكتشف آباؤنا هذا الواقع المرير.

وبعد أيام قلائل، سنقف في أوشفيتز لإحياء ذكرى تحرير الناجين من هول النازية. فالناجون من المحرقة قد تقدم بهم العمر وتناقص عددهم الآن، بفعل الزمن. لكننا لا ننساهم، ولا ننسى من لم تكتب لهم النجاة، ولن ننساهم البتة.

نحن هنا لكي نتذكر دائماً هذا الفصل المظلم من تاريخنا، فهذا الفصل من تاريخنا الجماعي نحن البشر يجب ألا يتكرر أبداً.

ونحن في كندا نعتز بكفاحنا ضد الفاشية وبما قدمناه من مساعدة في تحرير أولئك الذين عانوا. إننا نعتز بالإسهام الذي قدمته الجالية اليهودية، بمن في ذلك الناجون من المحرقة، لجعل كندا أكثر قوة وأكثر رخاء وتنوعاً، وجعل الكنديين أكثر احتراماً لبعضهم بعضاً.

ولكن، إذا كان تحرير أوشفيتز هو بداية نهاية المحرقة، فإنه لا يمثل نهاية الشر الذي تسبب فيها. فاليوم، وحتى في مجتمعات مثل كندا، حيث يمثل احترام الآخرين قيمة كبيرة، يواجه العالم، كمجتمع، مخاطر جديدة من الكراهية علينا أن نعتبرها تحديات لقيمنا. واليوم، أكثر من أي وقت مضى،

نؤكد على قيمنا المشتركة، قيم الشمول، ولا بد لنا من نبذ الكراهية بكل أشكالها.

وثمة جريمة من أبشع الجرائم في تاريخ البشرية: قتل ملايين الأشخاص، السواد الأعظم منهم يهود، بشكل منهجي وبأعصاب باردة. وفي رأي كاتب أمريكي شهير: ''أن التاريخ لا يبدو تاريخاً البتة وأنت تعيشه. فهو يبدو مشوشاً ومرتبكاً دائماً، كما أنه يشعرنا بعدم الارتياح دائماً''. أيها الأصدقاء، يجب ألا نلتمس السلوى، يجب ألا ننسى أبداً.

ومع ذلك، ينبغي أن نتذكر كيف حدث ذلك؟ في اعتقادي أنه قد حدث لأن عدم الاكتراث هو أسوأ الشرور ومرتع للخوف والتعصب. وفي يومنا هذا، فإننا نميل إلى تصور الشر على أنه شيء محدد المعالم والألوان. إلا أن الشر قد يكون أيضاً أمراً دنيوياً خبيثاً أو حميداً. وكما قال إدموند بيرك، فإن كل ما يحتاجه الشر لكي ينجح هو ألا يفعل الرجال الطيبون شيئاً.

(تكلم بالفرنسية)

وفضلاً عن ذلك، فإن مقدرتنا على تمييز الشر ومكافحة عدم اكتراثنا إزاء الكراهية التي تستهدف الآخرين تستلزم منا أقصى درجات الشجاعة والتبصر. ويحزنني القول إننا، رغم حضارتنا، ما زلنا نواجه الفشل على كل من الصعيدين.

ومنذ تحرير أوشفيتز شهد العالم فظائع كثيرة ارتكبت بحق إخواننا من بني البشر، مثل تلك التي حدثت في كمبوديا والبوسنة والهرسك ورواندا ودارفور ... وتطول قائمة المآسي التي ترتكب بلا مبالاة.

وتنطوي فكرة الأمن الجماعي بالضرورة على المسؤولية الجماعية. ولكن لا يوجد شيء يبرر اللامبالاة إزاء جرائم الكراهية. ولذلك فإننا أيدنا إنشاء محكمة جنائية دولية واعتماد صكوك قانونية من قبيل اتفاقيات منع جريمة الإبادة الجماعية. ولهذا الغرض أيضا اقترح رئيس وزراء كندا، السيد بول مارتين، هنا في الجمعية العامة في أيلول/سبتمبر الماضي، من فوق هذا المنبر، مفهوم المسؤولية عن الحماية. إذ يجب على الدول أن تحمي سكانها. وإن رفض اللامبالاة يمثل جوهر ذلك المبدأ، وهو أيضا أحد المبادئ الأساسية التي قامت عليها هذه المنظمة.

وفي العام الماضي ذكر الأمين العام ما يلي:

''لقد استحدث اسم 'الأمم المتحدة' ليعبّر عن الكفاح الذي شنّه الحلفاء للقضاء على ذلك النظام الهمجي، ونشأت منظمتنا عندما استخلص العالم العبر من الأفعال الفظيعة والمروعة التي ارتكبت في معسكرات الاعتقال ومعسكرات الإبادة. ومن ثم فقد قيل عن حق إن الأمم المتحدة برزت من رماد المحرقة. وإذا عجز أي جدول أعمال خاص بحقوق الإنسان عن معالجة مشكلة معاداة السامية فإنه يكون بذلك قد تنكر لتاريخه هو نفسه''.

ومن أجل أن نغيّر مسار التاريخ ونضمن احترام حقوق جميع البشر ونحمي الضعفاء ونكبح جماح الأقوياء يجب علينا، أولا وقبل كل شيء، أن نحارب ميل الإنسان ذاته نحو الوقوف مكتوف الأيدي إزاء مواجهة الشرور ما دامت تحدث لغيره. ولن نستطيع تحقيق ذلك إلا إذا قمنا بتوحيد جهودنا وتجاوزنا حدود اللامبالاة التي تنتابنا.

وفي عالم مترابط كعالمنا هذا يمكننا أن نرى ونسمع في الحال كل ما يحدث في أي مكان على كوكبنا. وفي ظل تلك الظروف فإن عبارة ''لا يوجد جديد تحت الشمس'' ليست شيئا غير مألوف. ومع ذلك لا يستطيع أحد أن يطبق هذه العبارة على جرائم من قبيل هذه المحرقة. إن مثل هذه الجرائم المروعة والبغيضة سوف تحمل العار مدى الحياة.

وهي تذكّرنا دائما بأنه ما من أحد يمكنه أن يقف غير مبال أمام التعصب والشر.

(تكلم بالانكليزية)

وإنني لعلى ثقة بأننا نستطيع أن نحقق تطلعات من سبقونا، وأنه بإمكاننا أن نجعل العالم مكانا أكثر أمنا وأكثر ازدهارا وأكثر سخاء وأكثر احتراما بالنسبة للجميع. وفي سنة إحياء الذكرى هذه يجب أن نستمد الإلهام من ماضينا ونكتشف الفرصة في مستقبلنا الجماعي.

ويمثل إحياء الذكرى هذا مناسبة مهيبة، ولكنه بالتأكيد ليس مناسبة للإذعان أو اللامبالاة. وبدلا من ذلك، يجب أن نجدد عزمنا على بناء عالم أفضل وأمم متحدة أعظم. فلنتذكّر ما قاله القس مارتين نييمولار – الذي اقتبس كلماته للتو وزير خارجية فرنسا، مايكل بارنييه – ولنتذكّر الملايين الستة الذين ماتوا، ولنشارك جميعا في رفع صوتنا عاليا ضد الكراهية واللامبالاة ولنقل: ”كلا لن تتكرر هذه الكارثة أبدا! لن تتكرر هذه الكارثة أبدا!“

الرئيس (تكلم بالفرنسية): أعطي الكلمة الآن لوزير خارجية أرمينيا، السيد فارتان أوسكانيان.

السيد أوسكانيان (أرمينيا) (تكلم بالانكليزية): بالنيابة عن شعب وحكومة أرمينيا، وبالأصالة عن نفسي، بصفتي أحفاد الذين نجوا من المحرقة، اضطررت للحضور هنا اليوم مع الناجين الآخرين، وأحفاد مرتكبي الجريمة وضحايا تلك الجريمة على السواء، للمشاركة في إحياء هذه الذكرى. وإن من واجبي أيضا أن أحث الجميع على القيام بشكل فعال بمواجهة خطر وقوع جريمة الإبادة الجماعية في أي مكان، وفي جميع الأوقات، بغض النظر عن التكاليف والأعباء السياسية.

إن تحرير أوشويتز يستدعي بدون شك أن نقيم له هذا الاحتفال التذكاري. ولكن بينما نشارك في هذا الاحتفال التذكاري، وفي كل مرة نلفظ فيها اسم ”أوشويتز“، نجد أنفسنا مضطرين للتأمل: لكي ننظر خلفنا، وننظر حولنا، وننظر بعمق في داخل أنفسنا.

بعد ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، وبعد التفكير في العدد الكبير غير العادي من الضحايا الذين سقطوا في حادثة واحدة، كتب صحفي يقول ”إننا جميعا أمريكيون“. فالتعاطف والتضامن والانزعاج والسخط، كل ذلك يوحدنا جميعا. ولكن ما هو مدى عمق وقوة مشاعرنا تجاه أوشويتز وخصوصية ما ينطوي عليه من رعب، وترادفه مع تكنولوجيا الموت والتزامه العادي المخيف بالكفاءة والتنظيم الفعال لما ارتكب فيه من جرائم.

بعد أوشويتز نحن جميعا يهود؛ جميعنا غجر؛ جميعنا غير صالحين ومنحرفون وغير مرغوب فينا بالنسبة لشخص ما في مكان ما من العالم. بعد أوشويتز لا يستطيع ضمير الإنسان أن يظل كما هو. إن لا إنسانية الإنسان تجاه الرجال والنساء والأطفال والمسنين لم تعد مجرد مفهوم يبحث له عن اسم أو صورة أو وصف. إذ أن أوشويتز يضفي هالته الخبيثة على كل الأحداث المشابهة لأوشويتز في التاريخ – تاريخنا المشترك، سواء قبل أوشويتز أو بعده.

في القرن العشرين وحده ارتكبت ١٥ جريمة إبادة جماعية، وبالنسبة لضحايا كل جريمة من هذه الجرائم هناك دائما الاسم المشؤوم للمكان الذي تربط به تلك الجريمة. وما يسميه الفرنسيون ”أماكن الذكرى المشؤومة“ موجود في كل مكان. إنها أماكن الرعب والمجازر والذبح والقتل العشوائي لكل الذين كانوا جزءا من مجتمع ما، أو من مجموعة أو أصل عرقي أو عقيدة. وبالنسبة للأرمن فإن صحراء ”دير الزور“ تمثل مكانا من تلك الأماكن المشؤومة؛ وبالنسبة للكمبوديين، فإن تلك الأماكن هي حقول القتل؛

وبالنسبة لأطفال القرن الحادي والعشرين، فإن الاسم المشؤوم هو دارفور؛ وبالنسبة لليهود والبولنديين والبقية من جيلنا الذي نشأ بعد الحرب العالمية الثانية، فإن ذلك الاسم هو أوشويتز.

ومثلما كنا أو نحن الآن ضحايا أو ربما نكون يوما ما ضحايا، فإننا كنا أو نحن الآن أو ربما نكون يوما ما مذنبين. إننا لن نستطيع أن نحقق الإرادة السياسية الجماعية المطلوبة ونعبر عن تلك الإرادة إلا بمشاركة الذين شاهدوا وارتكبوا تلك الأفعال التي يعجز عنها الوصف، والذين يتحلون بالشجاعة والكرامة والفضيلة للاعتراف بأخطائهم وآثامهم.

إن هذه ليست رؤية ساذجة أو غير واقعية أو غير عملية كما قد تبدو أو كما يحلو للبعض أن يصورها، ربما ليرفضها بعد ذلك. ليس لجريمة الإبادة الجماعية أي علاقة بالأفراد الذين يتصرفون بجنون، ويرتكبون الجرائم، ويقومون بأعمال شريرة أو يلحقون بالغير أضرارا لا يمكن إصلاحها؛ إن جريمة الإبادة الجماعية هي عمل تقوم به دولة تؤدي وظيفتها من خلال تنظيمها وهيكلها. ولذلك فإن هذه ليست مناشدة لإصلاح الإنسان؛ إنها مناشدة لكي ننظر بوعي في الدور الذي يجب أن تضطلع به مؤسساتنا الوطنية والدولية من أجل كفالة ألا يفكّر أي فرد مهما كان في أن بإمكانه الإفلات من العقاب.

بعد أوشفيز، ربما يعتقد المرء أنه ما كان يحق لأحد أن يغمض عينيه أو يصم أذنيه تجاه ما كان يحدث. وإنني، بصفتي أرمنيا، أعرف أن إغماض العينين وصم الأذنين وعقد اللسان أمور تديم الجروح. إنها ذكرى عذاب لم يخفف بصدور إدانة شديدة واعتراف قاطع. العالم لم ينطق، وعلينا أن ننطق. إن التنفيس الذي يستأهله الضحايا وتحتاج إليه المجتمعات بغية الشفاء والمضي قدما يفرض علينا هنا في المجتمع الدولي في الأمم ا لمتحدة أن نسمي الأشياء بأسمائها، وأن نشهد على ما يحدث، وأن نرفع حجاب التعتيم وأن نقضي على المعايير المزدوجة والانتهازية السياسية.

وعقب الكارثة التي خلفتها أمواج سونامي نواجه اليوم بألم إحدى المعضلات. فمن ناحية، كانت الاستجابة الدولية المتعددة الأطراف سريعة جدا وسخية جدا ودونما تمييز. لكننا إذا قارناها بالكارثة الأخرى، في أفريقيا، يصبح من الواضح لنا جميعا أنه بالنسبة لدارفور، لم يتم عمل شيء، فيما يتجاوز الإدانة العمومية، لتعقب مرتكبي الجرائم ومعاقبتهم. الفرق بالطبع في حالة أمواج سونامي هو أنه لم يكن هناك مرتكبون. لم يلوح أحد بالسيف و لم يسحب أحد الزناد و لم يدس أحد على الزر الذي أطلق الغاز.

الاعتراف بضحايا الإبادة الجماعية والإعراب عن الاحترام لهم يعني أيضا الاعتراف بوجود المرتكبين. غير أن هذا لا يساوي إطلاقا تسمية أولئك المرتكبين أو فضحهم أو إقناعهم بالكف عن أعمالهم أو تحذيرهم أو عزلهم ومعاقبتهم. وإذا أوحت هذه الأقوال والملاحظات بقدر من السذاجة التي تتغافل عن الهياكل القديمة العهد للاعتبارات السياسية والمصالح، اسمحوا لي إذن بهذه المناسبة، إذ نجتمع هنا لتذكر حدث رهيب جدا، بأن أطرح سؤالا واحدا هو: إن لم يكن هنا والآن فأين ومتى؟

نصحنا جورج سنتايانا – الذي سبق أن أستشهد به هنا ولكن اسمحوا لي أن أكرر ما قاله – نصحنا بأن نتذكر الماضي وإلا فسيحكم علينا أن نكرره. وهذه النصيحة لها مغزى عندي شخصيا، لأن إفناء شعبي، الذي أثر مصيره بطريقة ما على مصير الشعب اليهودي، كان ينبغي النظر إليه في سياق أوسع كنذير لأحداث تالية. اليهود والأرمن ربط بينهما هتلر إلى الأبد عندما قال: ”من الذي يتكلم اليوم عن إفناء الأرمن؟“ قبل يومين فقط من دخوله بولندا.

هذه الإشارة إلى الأرمن التي تنم عن الاستخفاف معروضة في مكان بارز في صرح المحرقة التذكاري في واشنطن لأنها بيان عميق عن الدور الذي يمكن أن تؤديه الأطراف الثالثة في منع الإبادة والتذكر. الإبادة تشكل مظهرا لخرق العهد المعقود بين الحكومات وشعوبها. وأثناء الإبادة الجماعية لا يبقى شيء بين الحكومات وشعوبها سوى الدور الحاسم الذي يمكن أن تضطلع به الأطراف الثالثة. ونحن هنا اليوم لأن الجيش السوفياتي اقتحم أوشفيز قبل ٦٠ سنة. وأنا هنا اليوم لأن العرب وفروا الملجأ للأرمن المطرودين قبل ٩٠ سنة. الأطراف الثالثة يمكن أن تضطلع بدور وأن تحدد الفرق بين الحياة والموت. وإن رفضها للسياسات والتصرفات التي لا تخدم مصلحة أي كيان وطني، ناهيك عن المصلحة الدولية لإنسانيتنا، يشكل موقفا قويا شديدا ينبغي اتخاذه.

ولكن لئن كان الجيران وأصحاب النوايا الحسنة يمكن أن يساعدوا في المنع والتذكر، فإنهم لا يمكن أن يفعلوا شيئا لمساعدة الأطراف على التسامي والمصالحة. الأطراف هي التي يجب أن تفعل ذلك. أولا، الضحايا يجب أن يتحلوا بالشجاعة والكرامة بما يمكنهم من المضي قدما. والمرتكبون، بعد ذلك، يجب أن يستجمعوا قوى الإنسانية والخير وأن يتغلبوا على ذكريات الشرور الخفية التي سادت حتى الآن، وأن يرفضوا الأفعال المرتكبة والنوايا والعواقب وأن يتبرأوا من مدبريها ومنفذيها، وأن يكفوا عنها.

أوشفيز دليل يشهد على أسوأ تعبير عن الحقد واللامبالاة والتجريد من الإنسانية. وتذكر أوشفيز هنا اليوم، وغرضها البغيض، يشكل خطوة حيوية لترجمة عبارة ”لن يتكرر أبدا“، إلى واقع فعلي.

الرئيس (تكلم بالفرنسية): أعطي الكلمة الآن لمعالي السيدة آيلنكا متريفا، وزير خارجية جمهورية مقدونيا اليوغوسلافية السابقة.

السيدة متريفا (جمهورية مقدونيا اليوغوسلافية السابقة) (تكلمت بالإنكليزية): في هذا اليوم المفعم بالمشاعر، يوم نتذكر فيه، والألم يعتصر قلوبنا، الأهوال التي تسبب فيها المذهب النازي، يوم يتذكر فيه العالم معسكرات الاعتقال ويخلد ذكرى ضحاياها، اسمحوا لي أن أبدأ بالتأكيد مجددا على تأييد جمهورية مقدونيا لعقد هذه الدورة الاستثنائية البالغة الأهمية للجمعية العامة.

ماذا ستكون الذاكرة الجماعية للمحرقة في القرن الحادي والعشرين، بعد أن أدلى الذين بقوا على قيد الحياة بشهاداتهم؟ إن المجتمع الدولي ونحن جميعا وأجيال المستقبل يجب ألا ننسى أبدا الجرائم الخسيسة التي ارتكبت ضد ستة ملايين يهودي وكثيرين آخرين أثناء الحرب العالمية الثانية. لقد كانت المحرقة مثالا حالكا على سياسة تستند إلى الإقصاء الديني والإثني في تجاهل تام لقدسية الحضارة الإنسانية، وعمى أسفر عن موت الملايين من الناس الأبرياء لا لشيء إلا لكونهم مختلفين.

لذلك يشكل تذكر ضحايا المحرقة واجبا أخلاقيا يفرض علينا أن نمنع تلك الأهوال من الحدوث مرة أخرى. هذا اليوم يوم تذكر وتأمل، يوم يتيح لنا جميعا فرصة التعبير عن احترامنا لكل الذين وقفوا ضد تلك السياسة وضحّوا بأرواحهم في سبيل الحرية. اليوم يوم تذكر الذين بقوا على قيد الحياة، الذين رووا لنا قصص تجاربهم المرعبة وزرعوها في ذاكرتنا الجماعية فأرسلوا رسالة قوية إلى أجيال المستقبل. إن الذين بقوا على قيد الحياة يتذكرون محرريهم، الذين قدموا من مختلف أنحاء العالم، والذين يجب ألا يكونوا أبدا عرضة للنسيان.

أصيبت جمهورية مقدونيا ومجتمعها المتسم تاريخياً بتعدد الأعراق خسارة هائلة بالقضاء الكامل تقريباً على سكانها اليهود في معسكرات الموت خلال الحرب العالمية

الثانية. وبالرغم من أن أبناء مقدونيا فعلوا كل ما بوسعهم لحماية جيرانهم اليهود، دافعين حياتهم أحياناً ثمناً لذلك، فقد قامت قوات النازي المحتلة بترحيل ٧٢٠٠ شخص، يمثلون نسبة ٩٨ في المائة من اليهود المقدونيين، إلى مخيم تريبلينكا، حيث قتلوا.

وتتذكر مقدونيا ضحايا المحرقة من أبنائها وتشجع على تذكرهم بالاضطلاع بأنشطة مختلفة. وأحد هذه الأنشطة هو افتتاح مركز تذكاري لضحايا المحرقة، سيبدأ تشييده هذا العام. وفي ١١ آذار/مارس من كل عام تحيي الدولة المقدونية اليوم الذي نظر فيه اليهود المقدونيون وراءهم لآخر مرة إلى وطنهم وهم يساقون قسراً إلى متن قطارات الموت.

ونسأل أنفسنا ما إذا كانت البشرية قد خرجت بدرس من التاريخ. ويجب أن نستمر في توجيه هذا السؤال لأنفسنا في كل يوم. فقد أنشأنا الأمم المتحدة استجابة للمخاوف الناجمة عن الحرب العالمية الثانية، تلك الحرب التي جلبت على البشر أحزاناً لا توصف. وأرسينا مبدأ المسؤولية الدولية عن حماية حقوق الإنسان؛ وهيّأنا الأوضاع للسلام والأمن والعدل. ونحن ملتزمون بممارسة التسامح والتفاهم المتبادل واحترام الاختلافات. ولكن لا تزال توجد لسوء الحظ نماذج مؤسفة لأشكال جديدة من الإبادة الجماعية.

ويتعين علينا الاعتراف بأن المجتمع الدولي كان بطيئاً في استجابته. صحيح أننا أنشأنا المحاكم لتطبيق العدالة في حالة الفظائع المرتكبة، ولكن هل كان ذلك كافياً حقاً، وهل كان هو الرد الوحيد المناسب ؟

لا ينبغي لذلك أن تقتصر هذه الدورة الاستثنائية المهيبة على إحياء الذكرى والتأمل. بل ينتظر منها أن تعطي دفعة أكبر لتبسيط آليات الأمم المتحدة بغرض الممارسة المسؤولة لتعددية الأطراف، والرد المناسب المتسم بالسرعة والكفاءة على جميع حالات الإبادة الجماعية وانتهاكات حقوق الإنسان الواسعة النطاق التي يمكن حدوثها في المستقبل.

يجب أن يشجعنا الاحتفال بهذه الذكرى على أن نجدد مرة أخرى تأكيد التزامنا القوي بمبادئ الميثاق ومقاصده، وبالإعلان العالمي لحقوق الإنسان. ويجب أن ندافع باستمرار عن القيم التي اتفقنا جميعاً عليها. فستكون تلك أفضل طريقة لتكريم ذكرى ضحايا الحرب العالمية الثانية ولتأبين من حاربوا من أجل السلام والحرية والديمقراطية والكرامة الإنسانية.

الرئيس (تكلم بالفرنسية): أعطي الكلمة الآن للورد جانر أوف براونستون، المستشار بالمملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وأيرلندا الشمالية.

لورد جانر (المملكة المتحدة) (تكلم بالإنكليزية): لقد قتل النازيون أسرتي بأكملها في ليتوانيا وفي لاتفيا، لم يبقوا منها على أحد. ومن حسن حظ أهلي المباشرين أننا كنا بريطانيين نعيش في بريطانيا، وأشعر الآن بالسعادة البالغة والفخر إذ أقف هنا اليوم ممثلاً للحكومة البريطانية، والبرلمان البريطاني، والدولة البريطانية، التي وقفت في وقت ما بمفردها في وجه النازيين.

في عام ١٩٤٦، كنت من المجندين للخدمة العسكرية الوطنية في جيش الراين البريطاني. وفي الذكرى الثانية لتحرير الجيش البريطاني لمعسكر اعتقال بيلسين، حضرت الاحتفال، بجانب القبور الجماعية، وشعرت للمرة الأولى بالفظائع الحقيقية التي ارتكبتها آلة القتل النازية. وسرعان ما أصبحت أصغر المحققين في جرائم الحرب بجيش الراين البريطاني. ومن ثم فإني أعرف أن من واجبنا جميعاً اليوم، مهما تكن جنسيتنا، أن نفعل كل ما بوسعنا لضمان أن يتعلم الجيل المقبل هذه الدروس، أن يتعلم دروس محارق اليهود، وأن

يتعلم من تاريخ هذه المحرقة ، وأن يفعل كل ما في طاقته لمحاربة الإبادة الجماعية، كلما ظهرت وأينما ظهرت.

واليوم نحتفل بالذكرى السنوية الستين لتحرير معسكر اعتقال أوشفيتس، وهو أعمق رموز الشر النازي وأشدها إثارة للاشمئزاز. واليوم، كما قال الأمين العام في بلاغة شديدة، نتذكر جميع من قُتلوا: اليهود، نعم، نتذكر الغجر؛ والمعوقين بدنياً وعقلياً؛ والمثليين جنسياً؛ والسجناء السياسيين؛ وأسرى الحرب، ملايين البشر الذين قتلهم النازيون، نعم في أوشفيتس، ونعم في بيسلين، ونعم في عشرات معسكرات الاعتقال التي حررتها قوات الحلفاء. ولكننا نتذكر أيضاً الآخرين مثل أسرتي، ممن قُتلوا في مدنهم وقراهم، في ديارهم وفي أماكن عبادتهم.

لقد سعى النازيون لإبادة الناس، الرجال والنساء والأطفال والرضّع، الذين اعتبروهم أدنى منهم شأناً. فأبادوا الملايين، ولكن شرهم لم يتوقف عند قتل من قتلوهم. فقد غرسوا المأساة في حياة الناجين وأسرهم التي تحمل آثار الجراح. لقد استغرق الأمر كثيراً من السنوات الأليمة حتى يدرك المجتمع الدولي أننا لا يجب أن نسمح للأجيال المقبلة بأن تنسى قط. ولذا فإن التحدي الأول أمامنا اليوم هو أن نبذل قصارى جهدنا لكفالة أن يُذكر الضحايا وأسرهم بالتكريم وإلى الأبد. وكثير من الدول تتعاون الآن بشكل فعلي على تحقيق هذا التذكر.

ففي عام ١٩٩٨، أنشأت بريطانيا وبلاد أخرى قوة العمل من أجل التعاون الدولي للتوعية بالمحرقة وإحياء ذكراها وإجراء الأبحاث بشأنها. وتضم قوة العمل هذه اليوم ٢٠ من البلدان الأعضاء. وجميعها تؤيد الإعلان الصادر عن منتدى ستوكهولم الدولي المعني بالمحرقة اليهود لعام ٢٠٠٠. وكلنا نعمل معاً على وضع برامج وطنية لإيجاد وتنمية الوعي بالمحرقة وإحياء ذكراها وإجراء الأبحاث المتعلقة بها. وتستفيد البلدان التي تفتقر إلى تقاليد إحياء ذكرى المحرقة من خبرة بريطانيا وبلدان كثيرة أخرى في إذكاء الوعي العام بهذه المآسي.

لقد كانت المحرقة جريمة لم تعرفها البشرية، و لم يكن لها اسم. واليوم، تجسد هذه الكلمة رؤية جرائم القتل والمقابر الجماعية، ورؤية الجهود الشرسة التي بذلها النازيون لإبادة الأشخاص الذين شعروا نحوهم بالاحتقار. ووضعت اتفاقية الأمم المتحدة لمنع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها لعام ١٩٥١ أساساً قانونياً لكفالة عدم إفلات أبشع الجرائم من العقاب. لقد قلنا ”لن يحدث هذا ثانية قط“. بيد أن مأساة العالم أنه ما زال يعاني من شرور الإبادة الجماعية والتطهير العرقي. فالمجتمع الدولي لم يتعلم بالقدر الكافي من المحرقة. ولذلك فإن المملكة المتحدة تعرب عن تأييدها الكامل لأهداف دورة اليوم الاستثنائية وتشيد بها.

لقد كانت جرائم الحرب النازية جرائم قتل، وكانت جرائم القتل جرائم حرب، جرائم حرب بشعة وفريدة في تاريخ البشرية. وفي عام ١٩٩١، أصدر البرلمان البريطاني قانون جرائم الحرب. وأدخلت المدارس البريطانية موضوع المحرقة في برامجها التعليمية.

ولقد وضعت الحكومة البريطانية، مع الصندوق الاستئماني المعني بالمحرقة وحكومات بلدان بحر البلطيق، مشروعا للتمكين من الوصول إلى مئات المقابر الجماعية الناجمة عن المحرقة في ليتوانيا وإستونيا ولاتفيا، ومسحها ووضع علامات عليها. وتتضمن تلك المقابر عظام ورفات الضحايا الذين أقدم النازيون وحلفاؤهم المحليون على جرهم من منازلهم وقتلهم من دون رحمة وطمرهم أشلاء. ولو لم نفعل ذلك، لبقيت رفاتهم والمقابر في تلك الغابات في غياهب التاريخ.

وفي بريطانيا كما في دول أخرى، فإن ذكرى المحرقة وهو يوم الخميس من هذا الأسبوع، الموافق ٢٧ كانون الثاني/يناير، يصادف الذكرى السنوية لتحرير أوشويتز. ولقد أصبح هذا الحدث يوما وطنيا كبيرا. فهو يخدم هدفين: الأول، تذكر الذين عانوا وقضوا في مأساة المحرقة. والثاني، التفكير في الدروس المستخلصة؛ حيث نتذكر المآسي الإنسانية ومظاهر التعصب الأخرى. وأكثر المشاركين نشاطا وفعالية هم المنظمات غير الحكومية إلى جانب المعلمين والمربين.

ومن هنا، سأعود إلى المملكة المتحدة وانتقل إلى أوشويتز يوم الخميس. ويوم الخميس، سأنضم إلى الناجين. وسأنضم في ذلك المكان الفظيع الكئيب إلى وزير خارجية بلدنا وزعماء آخرين، وأعضاء من الأسرة الملكية، ومحزونين سياسيين وناجين. وفي ذلك اليوم أيضا، ستنضم ملكتنا ورئيس وزرائنا إلى ناجين وأسرهم في احتفال رسمي تشهده قاعة وستمنستر البرلمانية. وسوف نتذكر جميعا الماضي لأجل المستقبل.

إن المملكة المتحدة تؤيد وتحترم بالكامل أهداف هذه الدورة الاستثنائية. وعلينا ألا ننسى الدروس المستخلصة من معسكرات الاعتقال النازية. وعلينا ألا ننسى المصير المأساوي الذي لقيه الملايين الذين عانوا وقضوا على أيدي النازيين مصاصي الدماء. لا، علينا ألا ننسى أبدا أبدا أبدا.

رفعت الجلسة الساعة ١٣/١٥.